أثر الفتوحات الإسلامية على الهوية الدينية والسياسية للطوائف المسيحية في شمال إفريقيا والأندلس (القرن السابع – القرن العاشر الميلادي)

قراءة نقدية للمصادر العربية واللاتينية

The impact of Islamic conquests on the religious and political identity of Christian communities in North Africa and Al-Andalus (7th - 10th centuries AD)

A critical reading of Arabic and Latin sources

إعداد

علي بن محمد بن مانع النعمي
Ali Mohammed Mane Al-Nuami
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة -كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد بأبها

أ.د/ عرفات أحمد مقبل
Prof.Arafat Ahmed Moqbel
الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد

Doi: 10.21608/jasis.2026.499474

استلام البحث ٢ / ٢ /٢٠٢٦
قبول البحث ١٢ / ٣ /٢٠٢٦

النعمي، علي بن محمد بن مانع ومقبل، عرفات أحمد (٢٠٢٦). أثر الفتوحات الإسلامية على الهوية الدينية والسياسية للطوائف المسيحية في شمال إفريقيا والأندلس (القرن السابع - القرن العاشر الميلادي): قراءة نقدية للمصادر العربية واللاتينية. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ١٠(٣٦)، ٥٦٥ -٦٣٠.

http://jasis.journals.ekb.eg

أثر الفتوحات الإسلامية على الهوية الدينية والسياسية للطوائف المسيحية في شمال إفريقيا والأندلس (القرن السابع - القرن العاشر الميلادي): قراءة نقدية للمصادر العربية واللاتينية

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر الفتوحات الإسلامية على الهوية الدينية والسياسية للطوائف المسيحية في منطقتي شمال إفريقيا والأندلس خلال الفترة الممتدة من القرن السابع وحتى القرن العاشر الميلادي .وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي النقدي للمصادر التاريخية العربية واللاتينية لاستقراء التحولات التي طرأت على الجماعات النصرانية .تمثلت عينة الدراسة في النصوص والمؤلفات التاريخية التي توثق لهذه الحقبة، بينما كانت الأداة المستخدمة هي القراءة النقدية المقارنة بين الروايات الإسلامية والغربية . اعتمدت الدراسة في معالجة بياناتها على أساليب النقد التاريخي والمقارنة المنطقية لاستخلاص النتائج .وتوصلت الدراسة إلى نتائج هامة أبرزها أن الأركان العقيدية للنصرانية شهدت تطورات توجت بالقول بالتثليث والتجسد عبر فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية، وأن التحريف طال النصوص الدينية لتتوافق مع الصراعات الكنسية .كما أظهرت النتائج الأثر العميق للمجامع المسكونية في تحويل مسار الهوية النصرانية بعيداً عن أصول التوحيد الأولى .وأوصت الدراسة بضرورة إكمال المشاريع البحثية التي تتبع التطور الديني للنصرانية عبر القرون، وكتابة رسائل أكاديمية دقيقة حول التجديد الديني وأثره في الانحراف العقدي.

الكلمات المفتاحية :الفتوحات الإسلامية، الهوية الدينية، الطوائف المسيحية، شمال إفريقيا، الأندلس، المصادر العربية واللاتينية.

Abstract:

The study aimed to uncover the impact of Islamic conquests on the religious and political identity of Christian communities in North Africa and Al-Andalus during the period from the 7th to the 10th centuries AD. The study relied on a critical analytical approach to Arabic and Latin historical sources to extrapolate the transformations that occurred in Christian groups. The study sample consisted of historical texts and writings documenting this era, while the tool used was a comparative critical reading of Islamic and Western narratives. In processing its data, the study employed historical criticism and logical comparison to draw conclusions. The study reached significant results, most notably that the doctrinal foundations of Christianity underwent developments culminating in the doctrines of the Trinity and Incarnation through sects such as the Melkites, Nestorians, and Jacobites, and that religious texts were distorted to align with ecclesiastical conflicts. Furthermore, the results showed the profound impact of ecumenical councils in shifting the Christian identity away from its original monotheistic roots. The study recommended the completion of research projects tracing the religious development of Christianity throughout the centuries and the writing of precise academic theses on religious renewal and its impact on doctrinal deviation.

Keywords: Islamic Conquests, Religious Identity, Christian Communities, North Africa, Al-Andalus, Arabic and Latin Sources.

مقدمة:

تعرَّضت كلُّ الرسائل السماوية قبل رسالة محمد ﷺ إلى التحريف والتبديل من طرف أعداء الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام. والقرآن الكريم تحدَّث عن هذه التحريفات في أيِّما موضع، أذكر منها قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾ [البقرة: ٧٩]. ومن بين الرسالات السماوية التي حُرِّفت سأخصُّ حديثي في هذه الدراسة عن رسالة عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، ولن آتي على بداية التحريف وإنما سأقتصر على الفترة من القرن السابع ميلادي إلى القرن العاشر ميلادي، من خلالها سأتكلم عن تطور الديانة النصرانية والجماعات النصرانية من حيث العقائد والشرائع والنصوص، وكذا الكنائس والفِرَق والمجامع، ولا شك أن لهذا التطور أسبابًا ومظاهرًا وآثارًا سأوضِّحها تباعًا. وتزامنت هذه الحقبة التاريخية مع بداية العصر الوسيط وفكره وفلسفاته، وأيضًا التقت فيها النصرانية بالإسلام؛ وبالتالي حدثت هناك مجموعة من النتائج والآثار المثيرة للاهتمام والتي أدت إلى تطور النصرانية والنصارى.

الإشكالية:

إن النظر في نشأة وتطور العقائد الدينية يفيد في كيفية الرد عليها من حيث البطلان والفساد، وكذلك يفيد معرفة مصادر نشأة تلك العقائد، والديانة النصرانية واحدة من أكبر الديانات في العالم التي مرَّت بكثير من التطورات عبر أزمنة تاريخية عديدة ومتوالية، فهي بدأت في وسطٍ يهودي مضطهد للنصارى ولم يكتفي بذلك حتى غيَّر فحوى الدعوة الأولى، مرورًا بالحكم الروماني الذي اختلف فيه الباحثون: هل النصرانية التي أثَّرت فيه أم النصرانية هي من ترومنت، والفلسفة اليونانية اختلطت بالوثنية فأدخلت التعددية الإلهية من تثليثٍ وشركٍ مع التوحيد الخالص الذي جاء به المسيح عليه السلام.

وعليه: يأتي سؤالي الرئيس في هذه الدراسة؛ ألا وهو:ما أهم التطورات التي طرأت على الديانة النصرانية والجماعات النصرانية ما بين القرن السابع الميلادي والقرن

العاشر الميلادي؟

أسباب اختيار الموضوع:

السبب الذاتي: شغفي في البحث في مجال الأديان وتاريخها، وخاصة الأديان الكتابية.

الأسباب الموضوعية:

- مرَّت النصرانية -إلى اليوم- بتطورات تراكمت عبر التاريخ لم يسلَّط الضوء إلا على البدايات، في حين نجد أن مطلع القرون الوسطى وهو من القرن السابع الى القرن العاشر الميلادي لم يحظَ ببحثٍ واسعٍ رغم ما حدث فيه من تطورات داخل الديانة النصرانية.
- ما نجده الآن في كتب التاريخ معظمه من لدن باحثين نصارى تحدَّثوا عن الفترات التاريخية التي مرت بها النصرانية؛ فكان لزامًا أن ننوِّه بالذكر عن مرحلة التقاء النصرانية بالإسلام وما الآثار والنتائج في ذلك.

أهمية الموضوع:

١. صحيح أن البحوث في النصرانية والنصارى كثيرة، إلا أن الفترة ما بين القرن السابع والقرن العاشر الميلادي لم تحظَ بدراسات خاصة رغم ما طرأ فيها من تغيُّرات.
٢. كانت بداية القرن السابع الميلادي مرحلة تزامن الإسلام مع النصرانية وما حدث فيها من تغيُّرات، فكان من المهم أن أوضِّحها.
٣. الاضطهادات الكبيرة التي مرت بها الجماعات النصرانية بعد الاضطهاد اليهودي في القرون الأولى -على سبيل المثال: اضطهاد الفرس للنصارى في سوريا- يجدر أن أوضِّحها؛ فهي أدت إلى تطورات داخل الجماعات النصرانية.
٤. انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية في تلك الفترة التاريخية؛ من المهم أن ننوِّه بها.
٥. كانت بداية القرن العاشر الميلادي بداية الحروب الصليبية وهي فترة حافلة ومهمة في تطور النصرانية والجماعات النصرانية.

أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف هذا البحث في الآتي:

١. إعطاء مفهوم للتطور الديني يهدف إلى معرفة وتقصِّي التطورات التي حدثت للنصرانية عبر التاريخ.
٢. معرفة التطورات التي حدثت في النصرانية من حيث العقيدة والنصوص والشرائع من القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي.
٣. التعرف على التطورات التي حدثت مع الجماعات النصرانية من حيث الفِرَق والكنائس والمجامع من القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي.
٤. تسليط الضوء على مظاهر تطور النصرانية خلال هذه الفترة التاريخية.
٥. بيان العوامل المؤثرة في تطور النصرانية والجماعات النصرانية خلال هذه

الفترة.

حدود البحث:

الديانة النصرانية، والجماعات النصرانية في الحقبة التاريخية ما بين القرن السابع والقرن العاشر الميلادي، وأخيرًا: الحدود الزمنية وهي الحقبة التاريخية ما بين القرن السابع والقرن العاشر الميلادي.

الدراسات السابقة:

بعد البحث فيما كُتب عن تطور النصرانية من القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي، لم أجد إلا بعض الدراسات القليلة وأغلبها تلك التي تحدثت عن الموضوع في جزئية من الموضوع الرئيس، وسأذكرها مختصر ما ورد فيها، وسأبيِّن ما أزيد عليها أو سأنقد بعض الذي ذكر فيها أو ما سأستفيد منها:

❍ **الدراسة الأولى:((كتاب تحريف رسالة المسيح ﷺ عبر التاريخ أسبابه ونتائجه)):** تأليف بسمة أحمد جستنيه، صادر عن دار القلم بدمشق سوريا، سنة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠مـ.

- **الوصف الخارجي:** يحتوي على ٤٥٥ صفحة بغلاف خشن.
- **الوصف الداخلي:** يحتوى على ثلاثة أبواب كل باب يندرج تحته ثلاثة فصول.

ما يتفق مع بحثي في هذه الدراسة أن الباحثة عنونت الفصل الثالث من الباب الأول: بالآتي: "النصرانية والنصارى من رفع عيسى ﷺ إلى ١٩٦٥م"، وأتت على أهم التبديلات التي طرأت على الديانة في هذه المراحل التاريخية وشملت المرحلة التي أريد بحثها، لكنني سأبحثها بشيء من التوسع والتدقيق إذا سأضبط دراستي من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي فقط، لذلك سأستفيد منها في هذا الجانب وأيضًا سأضيف عليها مظاهر التطورات التي أصابت النصرانية، وأيضًا آثار تلك التطورات.

❍ **الدراسة الثانية: ((تطور الديانة المسيحية حتى القرن السابع الميلادي العقيدة أنموذجًا)):** رسالة دكتوراه للباحث لعمش عبد الحفيظ، سنة المناقشة ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م، من جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة- الجزائر، قسم العقيدة ومقارنة الأديان.

احتوت الدراسة على ثلاثة أبواب يندرج تحت كل منها فصلان، سأستفيد من هذه الدراسة الجزئية التي ذكر فيها الباحث التطور الديني حيث سأمهِّد لدراستي بهذا المجال حتى يتسنَّى للقارئ ربط موضوع الدراسة بجذوره التاريخية والمعرفية، ثم أتى الباحث إلى إرجاع التطور التاريخي للنصرانية بعصرها اليهودي؛ ومن ثم قصر بحثه على تطور العقيدة، أما في دراستي فسأزيد عليه في التطرق لكل جوانب التطور الديني للنصرانية، وأيضًا سأضيف في دراستي فترة تاريخية إلى القرن العاشر الميلادي حيث أنه توقف في القرن السابع الميلادي فقط علمًا أنه من بعد هذه الفترة حدثت تطورات عديدة على الديانة سآتي عليها في فصول الدراسة.

منهج الدراسة:

سأعتمد في هذه الدراسة على عدة المنهج التحليلي النقدي.

المبحث الأول: مفهوم النصرانية والنصارى والقرن والميلاد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم النصرانية.

النصرانية لغة: قيل: نسبة إلى نصرانة، وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنسبة إلى الديانة نصراني، وجمعه نصارى(١).

وفي معجم لغة الفقهاء: "والنصراني: بفتح فسكون مفرد وجمعه نصارى، نسبة إلى نصران أو الناصرة، وهي قرية في الخليل من فلسطين بلد عيسى المسيح - عليه السلام –"(٢).

النصرانية اصطلاحاً:

هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية(٣).

فالنصرانية هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل. وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام ويسمون ديانتهم "المسيحية". وأول ما دُعيَ النصارى "بالمسيحيين" في أنطاكية حوالي سنة ٤٢م، ويرى البعض أن ذلك أول الأمر كان من باب الشتم، ولم ترد التسمية بالمسيحية في القرآن الكريم ولا في السنة(٤).

المطلب الثاني: مفهوم النصارى.

النصارى لغة: قال الجوهري: "والنَصارى: جمع نَصرانٍ ونَصْرانةٍ، مثل الندامى جمع نَدْمانٍ ونَدْمانةٍ. ولكن لم يستعمل نَصْرانٌ إلا بياء النسب، لأنَّهم قالوا:

---

(١) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني (ص:٤٩٥)، القاموس المحيط (ص:٦٢٢).

(٢) معجم لغة الفقهاء، قلعجي (٤٨١/١).

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مجموعة من المؤلفين (٥٦٤/٢).

(٤) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف (ص:١٦٣).

رجلٌ نَصْرانيٌ وامرأةٌ نَصرانيَّةٌ. ونَصَّرَهُ: جعله نَصْرانِيًّا، وفي الحديث: (فأبواه يُهَوِّدانِهِ ويُنَصِّرانه)(٥)،(٦).

وقال ابن سيده: "ويُقال: أنْصَارٌ وأَنَاصِيْرُ. والتَنَصرُ: الدخوْلُ في النَصْرَانِيةِ، وهم يُنْسَبُونَ إلى قَرْيَةٍ يُقال لها نَصُوْرِيَّةٌ. ونَصْرَانَة: في مَعْنى نَصْرَانِيَّةٍ"(٧).

فتبين من التعريف اللغوي أن اسم النصارى نسبة إلى بلدة نصران أو الناصرة، وهي القرية التي ولد فيها عيسى - عليه السلام -.

النصارى اصطلاحاً: قال الشهرستاني: "أمة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته -عليه السلام- وهو المبعوث حقاً بعد موسى - عليه السلام - المبشر به في التوراة"(٨).

فلفظ النصارى أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم، ولهم عدة مسميات منها: النصارى، في أكثر من ثمانية مواضع في كتاب الله عز وجل، ومنها: وأهل الكتاب، في أكثر من ثلاثين موضعاً، ومنها: أهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح -عليه السلام-، ويسمون ديانتهم المسيحية، وهذا اللفظ لم يرد لا في الكتاب ولا السنة كما أسلفنا سابقاً(٩).

المطلب الثالث: مفهوم القرن.

القرن لغة: قال ابن فارس: " (قَرَنَ) الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَالْآخَرُ شَيْءٌ يَنْتَأُ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ، والْقَرْنُ: الْأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ(١٠).

القرن اصطلاحاً: قال ابن الأثير: "والقرن: أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان. مأخوذ من الاقتران، وكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم. وقيل: القرن: أربعون سنة. وقيل: ثمانون. وقيل: مائة. وقيل: هو مطلق من الزمان. وهو مصدر: قرن يقرن، ومنه الحديث «أنه مسح على رأس غلام وقال: عش قرنا، فعاش مائة سنة"(١١).

المسيحية من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

---

(٥) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات (٢٨٠/٥)، رقم (١٣٥٨)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٠٤٧/٤)، رقم (٢٦٥٨).

(٦) الصحاح في اللغة (٣٩٣/٣).

(٧) المحيط في اللغة .

(٨) الملل والنحل (٢٥/٢)

(٩) ينظر: معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، عرفة طنطاوي (ص:٤٢٩).

(١٠) معجم مقاييس اللغة (٧٦/٥-٧٧).

(١١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥١/٤).

أتى المسيح عليه الصلاة والسلام رسولًا من ربه إلى خراف بني إسرائيل الضالة، وكانت ديانته واضحة المعالم، لا يعتريها صعوبة في فهمها أو المراد منها، فرفعه الله وأصحابه على بيِّنة من الأمر، حتى جاء شاول اليهودي، فأدخل إلى النصرانية ما ليس منها، ومهَّد الطريق أمام أصحاب التدين المطَّاطي، المنادين بقبول أيِّ فكر منحلّ وشاذ، برحابة صدر، وطمس الخلاف حتى وإن كان يتقاطع مع ثوابت الدين، وهؤلاء لن يعدموا من يرفض فكرهم، وينأى عنهم، وعندئذٍ فإن الخلاف - والأمر على هذا الحال- لا مفرَّ منه، وهو حتميٌّ لوجود دوافعه، وتجلِّي أسبابه.

ولا غرابة حينئذٍ من وجود الفِرَق والشِّيَع والمذاهب في هذه الديانة، وقد تفرَّقوا أيدي سبأ في كل مرحلة زمنية مرت عليهم، وكلٌّ يتبنَّى عقائد لا تمتُّ للمسيح ودينه بأيِّ صلة، وكلٌّ يطوِّر عقيدته بين الفينة والأخرى كما هو الشأن في الأفكار البشرية التي يعتريها القصور من كل مكان، وتفتقر إلى التطوير والتعديل بين حين وآخر، مع أن النصارى حاولوا قمع الأفكار التي يظنونها مخالفة لما يَدِينون به من خلال عقد مؤتمرات ومجمعات علمية، إلا أن تلك المجمعات لم تكن لها النتائج التي يرغبون ويتمَّنون، ومن أجل هذا كانت المخالفة بعد المجامع معروفة ومشهورة، ولديها من يؤمن بها، ويدافع عنها، فكثر الاختلاف والتفرق، ولهذا لا تجدهم يتفقون على قولٍ واحد في معبودهم، حتى قال بعض الناس: لو اجتمع عشرة نصارى افترقوا على أحد عشر قولًا، وذكر بعض أهل العلم أن: أشدَّ الناس اختلافًا في مذاهبهم وأقلهم تحصيلًا لها لا يمكن أن يُعرف لهم مذهب، ولو سألت قسًّا من قساوستهم عن مذهبهم في المسيح، وسألت أباه، وأمه، لاختلفوا عليك الثلاثة، ولقال كل واحد منهم قولًا لا يشبه قول الآخر.

وهذا كله منوط بعدم وجود أصل يرجعون إليه عند الاختلاف، فالنصرانية عبارة عن مجموعة من الأفكار البشرية التي كانت خليطًا من الأوهام، والأفكار القديمة، والآراء الفلسفية، وكلٌّ يعود على الآخر بالنقض والإبطال، ومن هنا تعددت الأفكار والفِرَق والنِّحَل لتعدُّد المشرب شعروا بذلك أم لم يشعروا، وقد جاء القرن السابع والنصارى منقسمون إلى فرقٍ عدة، أشهرها:

○ الفرقة الأولى: الآريوسية:

سبق الحديث عن آريوس في أكثر من موطن، فقد كانت مقالته في نفي ألوهية المسيح والقول بأنه مخلوق أحد أسباب انعقاد مجمع نيقية، وحاول النصارى الذين حظوا بتأييد إمبراطور الرومان وقتئذٍ وأد أفكار آريوس بالتحذير منها ومن أصحابها، إلا أنها كانت أطول عمرًا مما توقَّعه النصارى، فقد التفَّ حول مقالته جمعٌ من الناس سواء أكان قبل انعقاد المجمع أم بعده(١٢)، ولهذا يقول بعضهم: "ولكن للأسف الشديد

---

(١٢) الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة-أخبار الكنيسة المسيحية منذ نشأتها سنة ٣٠ حتى نهاية القرن الرابع، مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم، بطريرك أنطاكية وسائر

كانت الحقيقة الواقعة تختلف الاختلاف كله عن القرارات المجمعية، فقد رجع الأساقفة بعد مجمع نيقية إلى أبرشيَّاتهم والقسوس إلى كنائسهم، وبدأ كلٌّ منهم يعلِّم ما كان يعلِّم به قبلًا، بل إن البعض تطرَّف في الهرطقة التي فاقت هرطقة آريوس نفسه، فمع أن آريوس وبعض أتباعه نُفوا، إلا أن الآريوسية بنت عشَّها في حدائق كثيرين من الأساقفة والرعاة"(١٣)، فظلَّ هذا المذهب قائمًا له من يدين به إلى القرن السابع ، ومن أشهر من كان ينتحله النجاشي(١٤)(١٥).

ومع بقاء هذا المذهب واستمراره إلى قرون عدة، إلا أن هناك من أرباب الكنائس مَن رفضه من أول وهلة، وأعلنوا العداء ضدَّه وضدَّ من يدين به، وذلك أن بدعته في تصوُّرهم هي أخبث بدعة حصلت في تاريخ النصرانية وأشدُّها جرمًا(١٦)، وقد بيَّن آريوس ما يلقاه هو وأتباعه من الاضطهاد في رسالته إلى أسقف نيقوميدية، حيث شرح له عداء ألكسندروس(١٧) فقال: "إن الأسقف يضطهدنا كثيرًا ويهيِّج الجميع علينا حتى يطردنا من المدينة كأننا كافرون بالله؛ لأننا لا نتفق معه في إعلانه

المشرق على السريان، مرجع سابق، (٤٣٩/١)؛ كنيستي -عقيدة وإيمان-، القمص: مينا جاد جرجس، مكتبة المحبة، ٢٠٠٢م، (ص:٧٦)؛ محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، أبو زهرة، مرجع سابق، (ص: ١٣١).

(١٣) تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، القاهرة، (٦٤٣/١).

(١٤) أصحمة بن أبجر، قال يونس، عن ابن إسحاق: كان اسم النجاشي مصحمة، وهو بالعربية عطية، وإنما النجاشي اسم الملك، كقولك كسرى وهرقل، قال الذهبي: وفي حديث جابر، أن النبي ﷺ صلى على أصحمة النجاشي، وأما قوله: "مصحمة" فلفظ غريب، وقد كتب النبي ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، وذلك مع عمرو بن أمية الضمري، وأن النجاشي كتب إليه: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحمة بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنك رسول الله، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك أريحا ابني، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت، يا رسول الله، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، (١٧٨/١).

(١٥) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، مرجع سابق، (١/ ٣٨٣).

(١٦) الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة -أخبار الكنيسة المسيحية منذ نشأتها سنة ٣٠ حتى نهاية القرن الرابع-، مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق على السريان، مرجع سابق، (٤٣٩/١).

(١٧) بطريرك الإسكندرية وبابا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ألكسندروس الأول، وُلد بالإسكندرية، وكان يُظهر التقوى فدعاه الناس بالقديس، ولقبُّوه بأبي المساكين لحبه للفقراء والمساكين، انظر: قاموس القديسين، القمص تادرس يعقوب ملطى، القس يوسف يوسف حليم، مشروع الكنوز القبطية، (٢٨٥/١-٢٨٧).

الجهاري بأن الله أزلي، والابن أزلي، وبأن الآب دائمًا آب، والابن دائمًا ابن، وأن الابن مِنَ اللهِ ذاته"(١٨)، فآريوس يخالف ألكسندروس، فيقول: " لم يكن الابن أزليًّا، ولذلك فهو قابلٌ للتَّغيُّر، ولا فضل للابن ولا قيمة له على سائر المخلوقات إلا بما تفضَّل به الآبُ عليه. وليس الابن إلهًا بجوهره، ولكنه عالي القيمة، نظرًا لعلوِّ مكانته بالنِّسبة للمخلوقات الأخرى"(١٩)، ولكن هذا لم يلقَ أذنًا واعية من النصارى المخالفين له ممن حضر المجمع، وذهبوا إلى ما يراه ألكسندروس، ومن هنا حكموا على أيِّ شخص يدين بأفكار آريوس بالقتل، وهذا ما تعرَّض له أحد الأساقفة عندما بُعث به ليكون أسقفًا عليهم فقتله أهلُها في وضح النهار، وقطَّعوا جثته، والمبرِّر لفعلهم هذا معه في كونه يدين بأفكار آريوس(٢٠).

إن الناظر إلى ما حصل للآريوسية من قِبل أعدائهم يجد أن ألكسندروس لم يستطع أن يقيم حجته على آريوس بغير أمور واهية، فلم تكن هناك ثمة حُجج دينية أو عقلية تُلزم آريوس وتدفعه إلى التسليم لخصمه، بل غاية ظهور ألكسندروس على آريوس منوط بأمرين:

الأمر الأول: اقتناع الإمبراطور برأيه الذي كان على وثنيته التي ورثها عن آبائه، ولم يدخل إلى النصرانية إلا في مرضه الذي مات فيه(٢١)، ومن أجل هذا اقتنع بالقول الذي هو أقرب إلى قول الوثنية في مسألة تعدُّد الآلهة، وحمل عليها جميع الحاضرين في المجمع.

الأمر الثاني: ادعاء ألكسندر بأنه رأى المسيح في المنام يلعن آريوس ويتبرَّأ من قوله(٢٢)، وهذان الأمران لا يعوَّل عليهما في المسائل العلمية.

وقد اعترف النصارى أنفسهم بأن قوله ظلَّ ينتشر في أوساط الناس، وأتباعه لم يفتأوا عن دعوة الناس إليه وإقامة الحجج على بطلان ما ذهب إليه ألكسندروس ومن وافقه، فكانوا يقولون للمخالفين لهم: يا هرطقي: من الأكبر الوالد أم المولود؟! وهل يَصدُق العقل وجودُ ابنٍ قبل ولادته(٢٣)، وهذا ظاهرٌ بيِّن في أن القول بأزليَّته مع القول

---

(١٨) تاريخ الكنيسة القبطية، الشماس منسي القمص، مطبعة اليقظة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٢٤م، (ص:١٤٢-١٤٣).

(١٩) كنيستي -عقيدة وإيمان-، القمص: مينا جاد جرجس، مرجع سابق، (ص:٧٦).

(٢٠) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ه-١٩٨٠م، (ص:١١).

(٢١) حياة قسطنطين العظيم، الفصل الثاني والستون، يوسابيوس القيصري، تعريب: القمص: مرقس داود، مرجع سابق، (ص:١٥٣).

(٢٢) محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، أبو زهرة، مرجع سابق، (ص: ١٢٣).

(٢٣) تاريخ الكنيسة القبطية، الشماس منسي القمص، مرجع سابق، (ص:٢٧٢).

بولادته لا يمكن تصوُّرهما بأيِّ حال من الأحوال.

وهكذا ظلَّ الأتباع يقيمون الحجج والبراهين على صحة بشرية عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تبدَّل الحال وأصبحت أوربا الغربية تدين بما قرَّره آريوس، وهكذا آتت دعوتهم أُكُلَها في بعض المناطق(٢٤)، بل إن الإمبراطور نفسه الذي وقف ضد آريوس في مجمع نيقية، وأيَّد المخالفين له رجع إلى مذهب آريوس في آخر عمره، وكذلك الحال مع وليِّ عهده الذي أصبح إمبراطورًا بعد أبيه كان آريوسيًّا، واستمرت في الانتشار حتى جاء القرن الخامس فكانت غالب أسقفية العالم المسيحية على مذهب آريوس، وظلَّ منتشرًا إلى زمن دعوة النبي محمد ﷺ(٢٥).

❍ الفرقة الثانية: النسطورية:

تُنسب الفرقة النسطورية إلى نسطوريوس، وهي دعوة نصرانية ظهرت في القرن الخامس، وتبنَّت أفكارًا عديدة شكَّلت في تلك الفترة اضطرابًا واختلافًا في أوساط الأساقفة، ومن أهم ما ذكره يتمثل في أربعة أمور:

- **الأمر الأول:** القول بانفصال طبيعة اللاهوت عن الناسوت في عيسى عليه الصلاة والسلام، ومن ثم فإن اللاهوت لم يولد ولم يُصلب، ولم يقم مع الناسوت.
- **الأمر الثاني:** أن المسيح يحمل الطبيعتين: اللاهوتية والناسوتية مع الانفصال المتقرِّر عنده.
- **الأمر الثالث:** نفي ألوهية المسيح.
- **الأمر الرابع:** لا يجوز تسمية مريم عليها السلام بوالدة الإله.

وهذه الأفكار التي خالفها نسطور رأى بأن المخالفين له أخذوها من الفلاسفة، وليس هناك دليل يشهد لصحتها سوى التأثر بآراء الفلاسفة والوثنيين، ومنه اقتبست النصارى هذه الأفكار وغيرها(٢٦)، ولم تكن هذه الآراء لتظهر عقيب نيله درجة الأسقفية، بل ظلَّ يخفيها بين جوانحه زمنًا، وأظهر في بادئ أمره عداءً شديدًا للآريوسية(٢٧)، وظلَّ مهتمًّا بالوعظ والإرشاد ودعوة الناس للإيمان بعقيدة النصارى

---

(٢٤) سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، نوفل أفندي نوفل، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٢٢م، (ص: ١٣٧).

(٢٥) تطور الإنجيل المسيح ابن الله أم ملك من نسل داوود -دراسة نقدية وترجمة جديدة لأقدم الأناجيل تكشف مفاهيم مثيرة-، اينول باول، ترجمة: أحمد إيبش، دار قتيبة، (ص:٣٧).

(٢٦) رواية عزازيل، ترجمة: يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة: الثامنة والعشرون، ٢٠١٤م، (ص:٤٢).

(٢٧) موسوعة الأنبا غريغوريوس -اللاهوت المقارن-، المتنيح الأنبا غريغوريوس، مرجع سابق، (١٧٥/١)؛ سلسلة البدع والهرطقات، النسطورية (بدعة نسطور)، القس: أباكير عبد المسيح فرج، (ص:٧).

حتى تأثر بشيخه في نقد بعض ما يتعلق بالكتاب المقدس كقوله في سفر أيوب: إن هو إلا قصيدة مأخوذة من مصادر وثنية(٢٨)، ومن هنا بدأت فكرة النقد عنده لبعض المسلَّمات تأخذ بحظها من عقلِهِ، فبدأت شرارة النزاع بوصف مريم بوالدة الإله، فلقي هذا الوصف قبولًا من البعض ومعارضةً من البعض الآخر الذين رأوا أن مريم عليها السلام والدة الإله بحق لكون عيسى عليه الصلاة والسلام إلهًا، ولا فرق عندهم بين أن يقال: مريم والدة الإله أو أم الرب، فكلا الإطلاقين عليها جائز وصحيح(٢٩).

وكذلك بقية الأمور، فهي تخالف ما عليه النصرانية الذين لا يفتؤون عن الحديث عن لاهوتية المسيح، ولا يقبلون أيَّ تقرير يفضي بفصل اللاهوت عن الناسوت، بل إنهما متحدان اتحادًا لا يمكن تصوُّره أو إدراكه، فانعقد مجمع أفسس سنة:٤٣١م كما تقدَّم الحديث عنه، وتوصَّلوا فيه إلى أمور عدة:

الأمر الأول: إدانة نسطور ورفض هرطقته والضرب صفحًا عن تعاليمه.

الأمر الثاني: التمسك بقانون الإيمان الذي أقرَّه مجمع نيقية وما تلاه من المجامع.

الأمر الثالث: بيان عقيدة الكنيسة في مريم عليها السلام، وقد كتبوا ذلك على هذا النحو: " نُعظِّمك يا أم النور الحقيقي، ونمجِّدك أيتها العذراء والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلِّص العالم. أتى وخلَّص أنفسنا. المجد لك يا سيِّدنا وملكنا المسيح. فخر الرسل. إكليل الشهداء. تهليل الصِّدِّيقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا. نُكرِّز ونُبشِّر بالثالوث المقدس لاهوت واحد. نسجد له ونمجِّده يا رب ارحمْ. يا رب باركْ. آمين"(٣٠).

وبيَّنوا نقاط الضعف عنده في أمور:

- **الأولى:** أنه فشل في شرح كيفية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت في شخص المسيح.
- **الثانية:** أساء نسطور إلى حقيقة التجسُّد.
- **الثالثة:** أساء نسطور إلى الفداء والكفَّارة.
- **الرابعة:** أنكر لاهوت المسيح.
- **الخامسة:** جعلنا نعبد الإنسان(٣١).

وأُعطي نسطور بعد تجريده من الأسقفية عشرة أيام لإعلان التوبة

---

(٢٨) قصة الحضارة، وِل ديورَانت، مرجع سابق، (١٢/ ١٠٠).

(٢٩) موسوعة الأنبا غريغوريوس -اللاهوت المقارن-، المتنيح الأنبا غريغوريوس،مرجع سابق، (١/١٧٤).

(٣٠) الكنيسة تواجه الهراطقة، أمير نصر، (ص:١٨١).

(٣١) سلسلة البدع والهرطقات، النسطورية (بدعة نسطور)، القس: أباكير عبد المسيح فرج، (ص:٢٤).

عن أفكاره التي خلقت إشكالًا وسط العامة، فإن لم يرجع عنها فلا يكون له حظٌ أو نصيب أو مكان في شركة الكهنوت(٣٢).

لكن هذا التهديد لم يُجْدِ نفعًا مع نسطور الذي أصرَّ على أفكاره، وأن القول باتحاد اللاهوت والناسوت يحتاج إلى طول تأمل ونظر، وأن رأيه في وجود شخصين أقوم قيلًا وأهدى سبيلًا من قول النصارى، وأن هذين الشخصين هما: " يسوع الرجل الكامل بدون خطيئة، وهو ابن مريم بالجسد، والثاني الكلمة الإلهي المستقر فيه، وعلى ذلك ظهرت نظرية الطبيعتين المنفصلتين في طبيعة يسوع المسيح بدل أن كانت طبيعته واحدة"(٣٣)، وعندئذ يرى أن العلاقة بين اللاهوت والناسوت علاقة اتصال وليست علاقة اتحاد.

كذلك رأى أن القول بأن مريم والدة للإله لا يمكن قبوله بأيِّ حال من الأحوال، إذ كيف يستقيم القول بأن إنسانًا يلد إلهًا، مع إجماعهم بأن مريم عليها السلام إنسانة، فكيف ولدت إلهًا؟، فهذا التناقض ممتنع عند نسطور(٣٤)، فالمخلوق لا يلد إلا مخلوقًا، والخالق عندهم عبارة عن روح، فكيف حصلت تلكم الولادة(٣٥)، ومن هنا ذكر أن هذه الفكرة وثنية لم يدل عليها دليلٌ قَطُّ(٣٦).

يقول نسطور: " إن مريم العذراء ليست بوالدةٍ إلهًا على الحقيقة، ولذلك كان اثنان.

أحدهما: الذي هو إله مولود من الأب.

والآخر: الذي هو إنسان مولود من مريم، وأن هذا الإنسان الذي يقول: إنه مسيح بالمحبة متوحِّد مع ابن إله، ويقال له: إله وابن إله، ليس بالحقيقة، ولكن موهبة، واتفاق الاسمين والكرامة شبيهًا بأحد الأنبياء".

من أجل هذا لقيت أفكاره مع عظيم تناقضها قبولًا أكثر من قبول فكرة غيره، ولهذا ظلَّت بين الناس، ولقيت من يعتقد صحتها، ويؤمن بها، وانشقَّت كنيسته عن باقي الكنائس، وكانت كنيسته أكثر الكنائس انتشارًا في كثير من البلدان(٣٧)،

---

(٣٢) مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التي وضعتها المجامع المسكونية والمكانية المقدسة، حنانيا إلياس كساب، مرجع سابق، (ص:٢٨٨-٢٨٩).

(٣٣) تاريخ المسيحية الشرقية، عزيز سوريال عطية، ترجمة: إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٥م، (ص:٣٠٤).

(٣٤) سلسلة البدع والهرطقات، النسطورية (بدعة نسطور)، القس: أباكير عبد المسيح فرج، (ص:٧).

(٣٥) الكنيسة تواجه الهراطقة، أمير نصر، مرجع سابق، (ص:١٢٩).

(٣٦) موسوعة الأنبا غريغوريوس-اللاهوت المقارن-، المتنيح الأنبا غريغوريوس، مرجع سابق، (١/١٨١).

(٣٧) تاريخ المسيحية الشرقية، عزيز سوريال عطية، مرجع سابق، (ص:٢٩٣).

واعترف المخالفون له بذلك، فقال بعضهم: "كانت بدعة نسطور سببًا في بلبلة أفكار الكثيرين، وبرغم هذا الحكم الرادع الذي قرَّره مجمع أفسس المسكوني بخصوص هذا التعليم الغريب، إلا أن الكنيسة بقيت سنينًا طويلة تقاسى آلامًا ممن شايعوا نسطورًا واعتنقوا مذهبه الفاسد"(٣٨).

"وهؤلاء النصارى يقولون: إن كون الله مولودًا من فرج مريم، غير كونه مولودًا في الأزل من الأب، بل هما ولادتان روحانية وجسمانية.

وهم إذا طُولبوا بتفهيم ما يقولونه، وقيل لهم: هذا لا يُتصوَّر؛ أن يكون رب العالمين يخرج من ثقب ضيق، لا فرج ولا فم ولا أذن ولا غير ذلك من الأثقاب. قالوا: هذا فوق العقل، واعترفوا بأن هذا لا يتصوَّره العقل.

فيقال لهم: هذا الكلام لم يقله نبيٌّ من الأنبياء، ولم ينطق به نبيٌّ من الأنبياء بأن مريم حملت برب العالمين وولدته، بل ولا نطق نبيٌّ من الأنبياء بأن الله مولود ولا شيء من صفاته مولود، لا علمه ولا حياته ولا غير ذلك.

ولا نطق نبيٌّ من الأنبياء لا المسيح ولا غيره بأن الله اتحد بشيء من المخلوقات.

وليس في الإنجيل وغيره مما يُنقل عن الأنبياء شيء من ذلك".

وقابل أتباعه ما قيل عنه في مجمع أفسس من الأمور الثلاثة بثلاثة مثلها:

الأمر الأول: أن الموقف اللاهوتي الذي طُرِح وقُرِّر في مجمع أفسس موقف هرطوقي لا يُلتفت إليه ولا يعوَّل عليه، بل يُضرب عنه صفحًا، ويُطوى عنه كشحًا.

الأمر الثاني: أن نسطورًا كان على الصواب والحق، وحينئذٍ لم يكن هناك أيُّ داعٍ ولا يوجد أيُّ مبرِّر لما فعلته الكنيسة معه من الحرمان وغيره من الأمور التي عُوقب بها.

الأمر الثالث: أن مجمع أفسس هو مجمع هرطوقي(٣٩).

ولا شك أن القول بأنها والدته لم يقف عند ذلك الحد، بل ذهب النصارى إلى تأليهها، فجاء في خِدْمَةُ قانون البَراكْلِسي الصَّغْير لِوالِدَةِ الإِلَـه قولهم: " أَيَا عذراءُ، إليكِ يعلو الدُّعَاءُ ما لدينا سواكِ رجاءُ، نرفعُ إليكِ نشائدَ المديحِ. أيَّتها الفائقُ قُدسها والدةُ الإلهِ خلّصينا. أَيَا عذراءُ، منكِ يَفيضُ الشِّفاءُ للَّذينَ رجوكِ وجاؤوا، يُعْلُونَ الميلادَ العجيبَ بالتَّسبيحِ. أنتِ تَشفينَ أمراضَ النَّفسِ الحزينةْ، وأوجاعَ الأجسادِ المِسكينةْ، فلكِ تمجيدُنا يا أُمَّ المسيحِ"(٤٠).

وأقرَّ هذا بعضُ النصارى بأن منهم فرقة ألّهت مريم العذراء، وجعلتها معبودةً

---

(٣٨) عصر المجامع، كيرلُّس الأنطوني، (ص:٢٥٨).

(٣٩) سلسلة البدع والهرطقات، النسطورية (بدعة نسطور)، القس: أباكير عبد المسيح فرج، (ص:١٣).

(٤٠) خدمة قانون البراكلسي الصغير لوالدة الإله (ص:١٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

مع الله ﷾(٤١)، وقد أشار إلى هذا القرآن الكريم فقال تعالى مخاطبًا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة: ١١٦](٤٢).

الفرقة الثالثة: الملكانية:

سبق الحديث عن مجمع خلقدونية وما أحدثه من انشقاق عند النصارى، وإن كان الانشقاق بينهم حاصلًا قبل ذلك، إلا أن الاختلاف حول طبيعة المسيح في خلقدونية أحدث انقسامًا شديدًا، يقول: "إذا كانت الكنيسة واحدة وأساسها الإيماني هو ألوهية السيد المسيح فمتى وكيف حدث الانشقاق في هذه الكنيسة الواحدة؟

الانشقاق الأول: حدث سنة ٤٥١م بسبب الخلاف حول طبيعة السيد المسيح وكان ذلك في مجمع خلقدونية، وانشقت الكنيسة إلى:

كنيسة غير خلقدونية: وهي التي لا تعترف بقرارات مجمع خلقدونية، وهي أيضًا التي تؤمن بطبيعة واحدة للسيد المسيح بعد الاتحاد...

كنائس خلقدونية: وهي التي تعترف بقرارات مجمع خلقدونية، وهي أيضًا التي تنادي بطبيعتين منفصلتين في السيد المسيح..."(٤٣).

فالملكانية هم الذين أقرُّوا بنتائج مجمع خلقدونية، فلمزوهم مخالفوهم بأنهم لم يتبعوا النتائج لصحتها، بل لأن الإمبراطور أمرهم بذلك، فلمَّا اتبعوا الملك أصبحوا ملكانية، بخلاف الذين رأوا الحق في زعمهم فلم يَرُعْهم تهديدُ ملكٍ(٤٤).

ومن أجل هذه الألقاب والتنابز بها كثر الخلاف والتنازع، فكان هذان: " القرنان عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين، نضال يذكيه اختلاف في الجنس واختلاف في الدين، وكان اختلاف الدين أشدَّ من اختلاف الجنس، إذ كانت علة العلل في ذلك الوقت تلك العداوة بين الملكانية والمنوفيسية، وكانت الطائفة الأولى -كما يدل على اسمها- حزب مذهب الدولة الإمبراطورية وحزب الملك والبلاد، وكانت

---

(٤١) لماذا ترفضون التجسد؟، الأغنسطس: حسام كمال عبد المسيح، الكنوز القبطية، ٢٠١٩م، (ص:٧).

(٤٢) الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، دار الأوائل، (ص:٢٦).

(٤٣) كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك، الشماس الإكليريكي، سامي حلمي، مطبعة دار نوبار للطباعة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م، (ص:/١٩).

(٤٤) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم-دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية-، سعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٥م، (ص:٢٩).

تعتقد العقيدة السنية الموروثة، وهي ازدواج طبيعة المسيح، على حين أن الطائفة الأخرى وهي حزب القبط المنوفيسيين -أهل مصر- كانت تستبشع تلك العقيدة وتستفظعها، وتحاربها حربًا عنيفة في حماسة هوجاء يصعب علينا أن نتصوَّرها أو نعرف كنهها في قوم يعقلون، بل يؤمنون بالإنجيل"(٤٥).

وهكذا ظلَّ النصارى يتفرَّقون ويسلكون طرائق قددًا في عقيدتهم، ولن يقف ما بقيت هذه العقيدة، وفي هذا يقول أحد النصارى بعد حديثه عن عقيدة آريوس-: "إن آريوس لم يكن الأول، ولن يكون الأخير الذي يهاجم عقيدة لاهوت الابن، فحتى بعد موته سيقوم آريوس كثيرون ينهجون منهجه، ويسلكون في نفس الطريق الذي سلك فيه، وينادون بتعاليمه، بل ينادون بتعاليم أخرى أكثر ضلالًا، ويهاجمون التعاليم الصحيحة، وهكذا لا نقول: إن الكنيسة تنقسم من جديد، بل نقول: إنها تستمر في انقسامها إلى أحزاب وجماعات، وينهش بعضها بعضًا"(٤٦).

تطور النصرانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي في النصوص

تحريف النصارى لنصوص الكتاب المقدس بالزيادة والنقصان والتحريف لمعانيها شيء معروف عندهم، وقد أوغلوا في ذلك التحريف إلى حدٍّ لم تفعله أُمَّةٌ مِنْ قبلهم.

وسواء أكان ذلك بسبب دخول غيرهم ممن ليس منهم إلى دينهم ولم تكن نيَّتهم الإيمان بتعاليم المسيح، بل استغلاله لمآربهم وأغراضهم الشخصية، أو كانت هناك أسباب أخرى آل بهم ذلك إلى التحريف للنصوص وليّ أعناقها كما يشاؤون، وقد كان للخلاف في ما بينهم أثرٌ في هذا التحريف واستبدال دينهم بدينٍ آخر بعيد كل البعد عن الدين الحقيقي.

وذلك أن النصارى يستمدُّون دينهم من النصوص، وقرارات المجامع التي تنعقد عند وجود الخلاف، وهذا الخلاف كان يعود بالهدم على النصوص وإبطالها سواء بتأويلها عن معناها ومقصودها، أو بإدخال شيء عليها غير موجود فيها.

ومن جهة أخرى: فإن ظهور دين جديد في هذه الفترة يتناسب مع فِطَر الناس وعقولهم جعل الناس الموافقين للنصارى والمناوئين لهم يُقبلون عليه؛ أثَّر في المتعصبين من النصارى، فجعلهم يذهبون كلَّ مذهب في تأويل النصوص وتحريفها لتتناسب مع ما يريدونه من صرفِ وجوه الناس عن هذا الدين، ومن ثم فإن التحريف للنصوص كان حاضرًا في هذه العصور، سنعرف ذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول: تطور فهم النصوص المتعلقة بدعوة النبي ﷺ

جاءت البشارة ببعثة النبي ﷺ على ألسنة الأنبياء السابقين، وكانت كلماتهم دليل

---

(٤٥) فتح العرب لمصر، ألفرد. ج. بتلر، ترجمة: محمد فريد، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م، (ص:٧١).

(٤٦) تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضري، مرجع سابق، (٦٤٠/١).

حق وبرهان صدق على نبوَّته عليه الصلاة والسلام، وليست نبوَّته متوقفة على ذلكم الدليل، بل إن ما جاء به من البراهين كافية على صدق دعوته، ولكنها أدلة تتعاضد، ويشهد بعضها لبعض، قال عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ ﴾ [الصف: ٦]، وقال رسول الله ﷺ: (إني عبد الله لَخَاتمُ النبيين، وإن آدم ﵇ لَمُنجدلٌ في طينته، وسأنبئُكم بأوَّلِ ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى)(٤٧)، وأخبر الله ﷾ عن ذلك فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾[الأعراف: ١٥٧]، فالنبي ﷺ قد بشَّر به موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء.

وأشار إلى ذلك جمعٌ من كُتَّاب النصارى.

وقد بقي ما يدل على التبشير به ﷺ في العهد القديم والجديد على التحريف الذي أصاب الكتاب المقدس، وإن كان التحريفُ للمعنى ظاهرًا عندهم في قضايا كثيرة.

وكما أن المسيح حذَّر من الأنبياء الكَذَبَة بعده وقيَّد كلامه بالكَذَبَة، فقد بشَّر بالصادقين، فقوله عن الكَذَبَة: " اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ"(٤٨)، " لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ"(٤٩).

فمن هو النبي الذي سيكون بعد عيسى عليه الصلاة والسلام وتكون شريعته هي الكل، ليس إلا من يشير إليه بولس فيقول: " وَأَمَّا النُّبُوَّاتُ فَسَتُبْطَلُ، وَالأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي، وَالْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ. لأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ وَنَتَنَبَّأُ بَعْضَ التَّنَبُّؤِ. وَلكِنْ مَتَى جَاءَ

---

(٤٧) سبق تخريجه.

(٤٨) إنجيل متى (١٥/٧).

(٤٩) إنجيل متى (١٧/٧-١٩).

الْكَامِلُ فَحِينَئِذٍ يُبْطَلُ مَا هُوَ بَعْضٌ"(٥٠)، فلو أراد المسيح نفسه لما قال في البداية: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ".

كذلك أيضًا ما جاء في قول المسيح: "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ... وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ(٥١)، فمن هو النبي الذي سيكون بعد عيسى وأعظم من يوحنا المعمدان؟، "فالأصغر في ملكوت السماوات هو إيلياء المزمع أن يأتي، الذي تنبَّأ به الأنبياء، نبيًّا تِلْوَ نبيٍّ، وكان آخرهم يوحنا المعمدان. فمن هو إيليَّا الأصغر في ملكوت السماوات؟ إنه محمد رسول الله ﷺ الذي صغر بتأخُّره في الزمان عن سائر الأنبياء، لكنه فاقهم جميعًا باكتمال رسالته ورضا الله بدينه دينًا خاتمًا إلى قيام الساعة، فإن لم يكن محمَّدًا ﷺ فمن ذا يكون؟ ولا يمكن لنصراني أن يدَّعي بأن عيسى هو آخر الرسل والأنبياء لإيمانهم برسالة تلاميذه بل وغيرهم كبولس، كما لم تكمل رسالته عليه السلام بدليل التعديل والنَّسْخ الذي أجراه الحواريون عليها في المجمع الأورشليمي الأول بزعم التيسير على المتنصِّرين، فأبطلوا الختان، وأحلُّوا بعض محرَّمات التوراة... وهذا الأصغر إنما يأتي في ملكوت السماوات التي لم تكن قد قامت يوم ذاك، وهو مزمع أن يأتي ولمَّا يأتِ بعد، إنه محمد ﷺ"(٥٢).

وفي يوحنا قول المسيح عليه الصلاة والسلام: " إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ... وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ"(٥٣).

وقد جاء في الصحيح عن بعض الصحابة المشهور بالقراءة في الكتاب المقدس صفة النبي ﷺ بأنه: (موصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيْتُكَ المتوكِّل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صخَّابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضَهُ اللهُ حتى يُقِيمَ به الملَّةَ العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا)(٥٤).

---

(٥٠) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٣/٨-١٠).

(٥١) إنجيل متى (١١/١١).

(٥٢) هل بشَّر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ؟، منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، (ص: ١٢٣).

(٥٣) إنجيل يوحنا (١٤/١٥-١٦، ٢٤).

(٥٤) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: البيوع، باب: كراهية الصَّخَب في السوق، مرجع سابق، (٣/٦٦)، برقم(٢١٢٥).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وهذا العلم لديه ﵁ لكونه أصاب زاملتين يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب(٥٥)، وقد جاء ما يدل على هذا في العهد القديم ونصُّه: "هُوَ ذَا عَبْدَيِ الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي، وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ للأمم، لَا يَصِيح ولَا يَرْفَعُ وَلَا يُسْمَعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتُهُ، قَصَبَةٌ مرضوضة لَا تقصف، وَفَتِيلَةٌ خَامِدَةٌ لَا تُطْفَأُ، إِلَى الْأَمَانِ يَخْرُجُ الْحَقُّ، لَا يَكِلُّ وَلَا يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الْأَرْضِ وَتَنْتَظِرَ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ أَنَا الرَّبُّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلْأُمَمِ لِنَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ، الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ، أَنَا الرَّبُّ هَذَا اسْمِي وَمَجْدِي لَا أُعْطِيهِ لِآخَرَ"(٥٦).

إن المتأمل لهذا النص يجد أنه يدل دلالة واضحة على خروج نبيٍّ يكون له من الشأن ما ذُكر في النص، فحَمْلُهُ على المسيح بعيدٌ جدًّا من وجوه:

أولًا: أن النصارى تزعم بأن عيسى إله وليس عبدًا، فإن سلَّموا بعبوديته فقد ناقضوا أنفسهم بأنفسهم، وإن رفضوا ذلك فلا يكون المراد به سوى نبيٍّ آخر غير المسيح وهو النبي ﷴ ﷺ.

ثانيًا: قوله: "الَّذِي أَعْضُدُهُ"، وهذا ممتنع حمله على المسيح، وذلك لأن النصارى يعتقدون بأن المسيح تركه الرَّبُّ ليفعل اليهود به ما يشاؤون من القتل والصلب والتعذيب، وأنه خاف من ذلك وطلب من الله أن ينقذه وألا يجعل أعداءه يتمكَّنون منه كما في لوقا: " يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ"(٥٧)، وفي مَتَّى: " نَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟"(٥٨)، فأين النصر والحماية والرعاية والكلاءة وغيرها من المعاني التي تتنافى مع ما حصل له كما يصوِّر -ذلك- النصارى؟!

وكيف تمكَّن اليهود من إنسانٍ هو الله على مذهب أصحاب الطبيعة الواحدة أو هو الله والإنسان على مذهب الطبيعتين؟ ، وصدق القائل:

---

(٥٥) انظر: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷿ من التوحيد، الدارمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المحقق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، (٦٣٤/٢-٦٣٦)؛ البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، (١/ ٤٣٩)؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها ﷴ منير عبده أغا الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر، بيروت، (٢١١/٩).

(٥٦) سفر إشعياء (١/٤٢-٨).

(٥٧) إنجيل لوقا (٤٢/٢٢).

(٥٨) إنجيل متى (٢٧/ ٤٦)

أسَمِعْتُمُ أنَّ الإلَه لحَاجَةٍ … يتناولُ المشروبَ والمأكولَا
ويمسُّهُ الألمُ الذي لم يستطعْ … صَرْفًا لَهُ عنهُ ولا تَحْوِيلَا
ياليتَ شِعري حينَ ماتَ بزعمِهم … مَنْ كَانَ بالتَّدبيرِ عنهُ كفيلَا
هَلْ كَانَ هَذا الكَوْنُ دبَّرَ نَفْسَهُ … مِن بعدِهِ أم آثَرَ التعطيلَا(٥٩)

ثالثًا: قوله: " مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي"، أي أن الله سبحانه وتعالى اصطفاه من جنس البشرية، وهذا يتنافى مع ما تزعمه النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام من كونه ابن الله عز وجل، فالبنوَّة ليست لغيره عندهم، فكيف تم اختياره مع انتفاء مثله، ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾ [ص: ٥].

رابعًا: قوله: "وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ للأُمَمِ"، وهذا يؤكد أن المراد به غير عيسى عليه الصلاة والسلام، وذلك أن دعوة عيسى لم تكن عالمية كما بَيَّنَّا سابقًا، وإنما ابتدع بولس تلك القضية، وخالف نصوص الكتاب المقدس، بينما النبي ﷺ كانت دعوته كذلك من أول وهلة.

خامسًا: قوله: " لَا تُطْفَأُ، إِلَى الأَمَانِ يَخْرُجُ الْحَقُّ..."، جاء في ترجمة هذا اللفظ ما نصُّه: "لا يُطفئ إلى الحق يخرج قضاء لا يخمد ولا ينسحق حتى يضع في الأرض قضاء"(٦٠)، وهذا قاطع في كون المراد منه غير عيسى عليه الصلاة والسلام، ففي لوقا ما نصُّه: " وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ: يَا مُعَلِّمُ، قُلْ لأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الإِرْثَ! وَلكِنَّهُ قَالَ لَهُ: يَا إِنْسَانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟"(٦١)، فهذا نص واضح في كونه لم يمارس القضاء، ولا يريده بحال من الأحوال، أما النبي ﷺ فما أكثر الوقائع التي مارس فيها النبي ﷺ فيها القضاء بنفسه، فمن ذلك ما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ ((سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال: إنما أنا بشرٌ، وإنه يأتيني الخصمُ، فلعلَّ بعضَكم أن يكونَ أبلغَ من بعضٍ، فأحسبَ أنه صدقَ، فأقضي له بذلك، فمن قضيتُ له بحقِّ مسلمٍ، فإنما هي قطعةٌ من النار، فليأخذها أو فليتركها))(٦٢)، وقد خاطبه الله سبحانه وتعالى فقال له: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ

---

(٥٩) الأبيات للبوصيري، انظر: ديوان البوصيري، محمد بن سعيد البوصيري، تحقيق: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٥م، (ص:١١٩).

(٦٠) العهد القديم العبري - ترجمة بين السطور، بولس الفغالي -أنطوان عوكر، الجامعة الأنطوانية، الطبعة: الأولى،٢٠٠٧م، (ص:٦٩٦).

(٦١) إنجيل لوقا (١٢/١٤-١٥).

(٦٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: المظالم، باب: إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، مرجع سابق، (١٣١/٣)، برقم (٢٤٥٨).

بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النساء: ١٠٥].

سادسًا: قوله: "وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ"، يدل عليه ما جاء بعده: " لِيَضُجَّ البحرُ وما فيهِ. والجُزُرُ وكُلُّ سُكَّانِها. لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ"(٦٣)، فهنا بيَّن المراد بالجزائر أو الجُزُر التي ستكون دعوته فيها، وهي الديار التي سكنها قيدار، وقيدار هو ولدُ إسماعيل الذي سكن جزيرة العرب وبالأخص مكة المكرمة، وكان سيِّدًا عليها، ويشهد لهذا ما جاء في سفر التكوين ونصُّه: " وَهذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ: نَبَايُوتُ بِكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وَقِيدَارُ، وَأَدَبْئِيلُ وَمِبْسَامُ"(٦٤)، وقد "ولي إسماعيلُ عليه السلام زعامة مكة وولاية البيت طوال حياته، ثم ولي اثنان من أبنائه: نابت، ثم قيدار"(٦٥)، والنصارى يعترفون بأن النبي ﷺ من ذرية إسماعيل، يقولون: "محمد من نسل إسماعيل"(٦٦).

فالحديث عن مكة -شرَّفها الله- التي عاش فيها النبي ﷺ وبدأ دعوته فيها، وليس الحديث عن المناطق التي وُلد وعاش ودعا فيها، وغالب ما جاء في ذلك فهو من اختلاق النصارى، ويؤيده ما قاله بعض المفكرين: "ولكنَّ هناك شيئًا واحدًا يشذُّ عن القاعدة، وهو الناصرة التي لم يرد ذكرها في العهد القديم، عبثًا نبحث عن مرجع لها يربط تاريخ الناصرة الحالي"(٦٧).

سابعًا: قوله: "وَنُورًا لِلأُمَمِ لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ، الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ"، وهذا ينطبق على النبي ﷺ كما قال سبحانه وتعالى مخاطبًا أهل الكتاب: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وفي العهد القديم: " يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لاَ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: «لاَ أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ"(٦٨)، وقد مرَّ زمن طويل بعد عيسى، ولم يأتِ نبيٌّ من

---

(٦٣) سفر إشعياء (٤٢/١٠-١١).

(٦٤) سفر التكوين (٢٥/١٣).

(٦٥) قلب جزيرة العرب، فؤاد حمزة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (ص:٢٣٠).

(٦٦) أسئلة يسألها المسلمون والرد المسيحي عليها، خادم الرب أثناسيوس، (ص:١٤).

(٦٧) مريم بحسب الأناجيل -دراسات في الكتاب المقدس، جان بول ميشو، ترجمة، تحقيق: صبحي حموي - أنطوان أودو، دار المشرق، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م، (ص:٢٩).

(٦٨) سفر إشعياء (٢٩/١٢).

يتصف بهذه الصفة سوى النبي محمد ﷺ، ولم تحصل هذه الحادثة إلا لنبيّنا ﷺ كما في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: (أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنَّث فيه -وهو التعبُّد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوَّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها، حتى جاءه الحقُّ وهو في غار حراء، فجاءه الملكُ فقال: اقرأْ، قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأْ، قلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأْ، فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ② ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ③﴾[العلق: ١-٣][٦٩].

وجاء أيضًا في العهد القديم: " وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ، يَا قَوَافِلَ الدادانيين. هَاتُوا مَاءً لِمُلاَقَاةِ الْعَطْشَانِ، يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ. فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ، وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ"[٧٠].

وهذا بشارة أيضًا بنبوَّة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ويدل على ذلك أمور عدة:

الأمر الأول: قوله: "وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ" فهنا حدَّد المكان الذي سيظهر منه الوحي وهو بلاد العرب الذين يقطنون جزيرة العرب، وقد وُلد النبي صلى الله عليه والسلام في جزيرة العرب ونشأ فيها ودعا إلى ربه فيها ومات فيها، وليس ثمَّة نبيٌّ غير نبينا ﷺ ظهر من هناك.

الأمر الثاني: قوله: "يَا قَوَافِلَ الدادانيين"، وهذه منطقة تسمَّى اليوم بمدينة العلا، وهي تتبع إداريًّا لإمارة منطقة المدينة المنورة، وجاء ذكرها في التوراة في النصوص المعينية[٧١].

الأمر الثالث: قوله: "يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ"، وتيماء منطقة معروفة في المدينة

---

[٦٩] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وقول الله جلَّ ذكره ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾، مرجع سابق، (١/ ٨)، برقم(٧). كذا أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، مرجع سابق، (٣/ ١٣٩٣)، برقم(١٧٧٣).

[٧٠] سفر إشعياء (٢١/١٣-١٥).

[٧١] انظر: قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا، مكتبة الملك فهد الوطنية، حسين علي، الرياض، ١٤١٨ه-١٩٩٧م، (ص:٣٢).

المنورة مُهاجَر النبيِّ ﷺ، ويشهد لهذا ما جاء في قاموس الكتاب المقدس من كون تيماء أرضًا عربية سكنها عربٌ من ذرية إسماعيل(٧٢).

الأمر الرابع: قوله: "فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا"، يقول لسكان تيماء أن يواجهوا مع نبيهم عدوَّهم الذي سيهرب من أمام السيف، وهذا إشارة إلى غزوة بدر، فقد ولَّى المشركون الأدبار، ولاذوا بالفرار، بعد أن أوقع بهم المسلمون هزيمة نكراء، ويشهد لهذا ما جاء في الصحيح من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال: "لمَّا نزلت ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[القمر: ٤٥]، قلتُ: أيُّ جمعٍ هذا؟ فلمَّا كان يوم بدر، رأيتُ رسول الله ﷺ وبيده السيف مصلتًا، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾"(٧٣).

وفي أعمال الرسل ما نصُّه: "فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ"(٧٤)، وهذا صريح في أن النبي الذي يقيمه الله تعالى ليس من بني إسرائيل، لأمرين:

الأمر الأول: إن يعقوب ﵇ هو إسرائيل، ولم يكن له أخٌ إلا العيص الذي لم يأتِ منه نبيٌّ سوى أيوب ﵇، ومعلوم أن أيوب ﵇ عاش قبل موسى ﵇، فيتعذَّر حمله عليه لكونِ البشارة لا تأتي لأمرٍ قد وقع وانتهى، بل لما هو مستقبل من الزمان.

الأمر الثاني: إذا تعذَّر حمله على أخ إسرائيل لم يبقَ سوى حمله على إسحاق وإسماعيل عليهما السلام، وكلُّ نبيٍّ بُعث بعد موسى ﵇ كان من بني إسرائيل سوى النبي ﷺ، ومعلوم بأنه ﷺ ما كان من بني إسرائيل بل من ذرية إسماعيل، أي: من إخوانهم، فوجب حمله عليه ﷺ(٧٥).

وفي العهد القديم: "وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ"(٧٦)، وهذه بشارة أخرى ويشهد لها أمور:

الأمر الأول: أن فاران جبل من جبال الحجاز موطن النبي ﷺ، و: "فاران:..كلمة عبرانية معرَّبة: وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة، قيل: هو اسم لجبال مكة"(٧٧)، وفي "سفر التكوين" في حديثه عن إسماعيل: " وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ

---

(٧٢) قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، (ص:١٥٨).

(٧٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، المحقق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (٤/ ١٤٥)، برقم(٣٨٢٩).

(٧٤) سفر أعمال الرسل (٣ /٢٢).

(٧٥) مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، (٣/ ٤٨٠-٤٨١).

(٧٦) سفر حبقوق (٣/٣).

(٧٧) معجم البلدان، الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م، (٤/ ٢٢٥).

فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ"(٧٨)، ومعلوم أنه إنما سكن بمكة(٧٩).

الأمر الثاني: أنها جاءت بالنص العبري كما يلي: "ويومر يهووه مسينائي به وزارع مسعير لامو هو فيع مهر باران واتا مر ببوث قودش ميميفوايش داث لامو"، وترجمة هذا اللفظ: "وقال: إن الرب جاء من سيناء(٨٠)، ونهض من سعير لهم، وسطع من جبل فاران، وجاء مع عشرة آلاف قديس"(٨١)، ولا يُعرف عن نبيٍّ بأنه قاد هذا العدد سوى نبينا محمد ﷺ في دخوله إلى فتح مكة(٨٢).

وجاء في العهد القديم: "قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى. فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ. اِرْفَعِي عَيْنَيْكِ حَوَالَيْكِ وَانْظُرِي. قَدِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ. جَاءُوا إِلَيْكِ. يَأْتِي بَنُوكِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ عَلَى الأَيْدِي. حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُنِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكِ وَيَتَّسِعُ، لأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ، وَيَأْتِي إِلَيْكِ غِنَى الأُمَمِ. تُغَطِّيكِ كَثْرَةُ الْجِمَالِ، بُكْرَانُ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ كُلُّهَا تَأْتِي مِنْ شَبَا. تَحْمِلُ ذَهَبًا وَلُبَانًا، وَتُبَشِّرُ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ. كُلُّ غَنَمِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ. كِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدِمُكِ. تَصْعَدُ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي، وَأُزَيِّنُ بَيْتَ جَمَالِي"(٨٣).

هنا يخاطب مكة التي زادها الله شرفًا بأن بعث منها خاتم الأنبياء والرسل، ويشهد لذلك أمور عدة:

الأمر الأول: قوله: "كُلُّ غَنَمِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ"، يدل على أنها مكة، وقد تقدم ذكر قيدار بأنه ولد إسماعيل ﵇، وكان قيدار سيِّدًا على مكة.

الأمر الثاني: قوله: "قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ

---

(٧٨) سفر التكوين (٢١/٢١).

(٧٩) مفاتيح الغيب، الرازي، مرجع سابق، (٣/ ٤٨١).

(٨٠) بكسر أوَّله ويُفتح: اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال: طور سيناء، وهو الجبل الذي كلَّم الله تعالى عليه موسى بن عمران، ﵇، ونودي فيه، وقد جاء في اسم هذا الموضع: سينين، قال الله تعالى: {وَطُورِ سِينِينَ}، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (٣/ ٣٠٠).

(٨١) مقدمة دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (ص: ٤٥).

(٨٢) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء، مغلطاي، المحقق: محمد نظام الدين الفُتَيِّح، دار القلم - الدار الشامية، دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، (ص: ٣٠٧).

(٨٣) سفر إشعياء (٦٠ /١-٧).

عَلَيْكِ"، خطاب لمكة بأن النور قد حَلَّ عليها بدعوة سيِّد الأنبياء كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

الأمر الثالث: قوله: "لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلَامُ الدَّامِسُ الأُمَمَ"، يشهد له ما جاء في الصحيح: (وإنَّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم)(٨٤).

الأمر الرابع: قوله: "تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ، وَيَأْتِي إِلَيْكِ غِنَى الأُمَمِ"، يشهد له ما حصل في التاريخ من فتح المسلمين لممالك الأرض، وقد جاء في حديث البراء بن عازب ﷺ(٨٥) قال: (أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرةٌ في مكان من الخندق، لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ، ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ المعول فقال: بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: الله أكبر أُعطيتُ مفاتيحَ الشام، واللهِ إني لأُبصر قصورها الحمر من مكاني هذا. ثم قال: بسم الله، وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال: الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيحَ فارس، واللهِ إني لأُبصر المدائن(٨٦)، وأُبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال: بسم الله، وضرب ضربة أخرى فقلع بقية

---

(٨٤) سبق تخريجه.

(٨٥) البراء بن عازب الأنصاري الحارثي الخزرجي، يُكنى أبا عمارة وهو الأصح، وقيل غير ذلك، وكانت أول غزواته هي الخندق لصغر سنِّه قبلها، وشهد البراء بن عازب مع علي الجمل وصفين والنهروان، ثم نزل الكوفة، ومات بها أيام مصعب بن الزبير، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، (١/ ١٥٥- ١٥٧).

(٨٦) بالفتح: جمع المدينة، تُهمز ياؤها ولا تُهمز، إن أُخذت من: دان يدين إذا أطاع لم تهمز إذا جمع على مداين لأنه مثل معيشة وياؤه أصلية، وإن أُخذت من: مدن بالمكان إذا أقام به همزت لأن ياءها زائدة فهي مثل قرينة وقرائن وسفينة وسفائن، والنسبة إليها مدائنيّ، وهي بين أرض الفرات ودجلة، وذلك أن الإسكندر لما سار في الأرض ودانت له الأمم وبنى المدن العظام في المشرق والمغرب رجع إلى المدائن وبنى فيها مدينة وسوَّرها، وكان فتح المدائن كلها على يد سعد بن أبي وقّاص في صفر سنة ١٦ في أيام عمر بن الخطاب، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (٥/ ٧٤- ٧٥).

الحجر فقال: الله أكبر أُعطيتُ مفاتيحَ اليمن(٨٧)، واللهِ إني لأُبصر أبواب صنعاء(٨٨) من مكاني هذا)(٨٩).

وعن أبي هريرة﵁: أن رسول الله ﷺ قال: (بُعثت بجوامع الكلم ونُصرت بالرعب فبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعت في يدي. قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها)(٩٠).

وقد جمع الإمام القرافي(٩١) إحدى وخمسين بشارةً من كتبهم كلُّها تبشِّر بالنبيِّ محمد ﷺ(٩٢)، ولكن كيف قابل

---

(٨٧) دولة عربية تقع في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، قيل: سُمِّيت اليمن لتيامنهم إليها لما تفرَّقت العرب من مكة، كما سُمِّيت الشام لأخذهم الشمال، قال ابن عباس: تفرَّقت العرب فمن تيامن منهم سُمِّيت اليمن، ويقال إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن وهي أيمن الأرض فسُمِّيت بذلك، اشتهرت اليمن في عهد المملكة السبئية في القرن الثاني قبل الميلاد، فتحها المسلمون سنة (٦٣٦) م، والنسبة إليهم يمنيّ ويمان، مخفَّفة، والألف: عوض من ياء النسبة فلا تجتمعان، وقال سيبويه: وبعضهم يقول: يمانيّ، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (٤٤٧/٥)؛ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين البغدادي، مرجع سابق، (١٤٨٣/٣).

(٨٨) منسوبة إلى جودة الصنعة في ذاتها، وكان اسم صنعاء في القديم: أزال، قال ذلك الكلبي، فلمَّا وافتها الحبشة قالوا: نعم نعم, فسُمِّي الجبل: نعم, أي: انظر، فلمَّا رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا: هذه صنعة, ومعناه: حصينة, فسُمِّيت صنعاء بذلك، وصنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها، تشبّه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (٣/ ٤٢٦).

(٨٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند: الكوفيين، حديث: البراء بن عازب، مرجع سابق، (٣٠/ ٦٢٥)، برقم(١٨٦٩٣)، حسنه الحافظ ابن حجر، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، (٧/ ٣٩٧).

(٩٠) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول النبي ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر وقوله ﷻ: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله﴾، مرجع سابق، (٤/ ٥٤)، برقم (٢٩٧٧). كذا أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، مرجع سابق، (١/ ٣٧١)، برقم (٥٢٣).

(٩١) شهاب الدين: أبو العباس أحمد بن أبي العلاء: إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي البهفشيمي البهنسي المصري، أحد الأعلام المشهورين، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك، دلت مصنفاته على غزارة فوائده وأعربت عن حسن مقاصده، توفي سنة أربعمائة وثمانين وستمائة ودفن بالقرافة، انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (٢٣٦/١-٢٣٩).

(٩٢) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، المحقق: بكر زكي عوض، شركة سعيد

النصارى هذه النصوص التي بقيت إلى زمننا، وأما الموجود منها فقد كانوا يعرفون النبيَّ ﷺ كمعرفة أبنائهم.

لقد تفاوت موقف النصارى من هذه النصوص الموجودة بين أيديهم، فمنهم مَن أسلم لله ﷻ واستسلم(٩٣)، بل وبشَّر النبيَّ ﷺ بالنبوَّة كما جاء في الصحيح من تبشير ورقة بن نوفل بالنبي ﷺ حيث قال: "فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عمِّ خديجة، وكان امرأ تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمِّ، اسمعْ من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يُخرجك قومُك، فقال رسول الله ﷺ: أومخرجيَّ هم؟! قال: نعم. لم يأتِ رجلٌ قَطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عُودِيَ، وإنْ يُدركْني يومُك أنصرْكَ نصرًا مؤزَّرًا)(٩٤).

قال المستشرق المسيحي ويليام مونتجمري وات(٩٥): " وكلمة الناموس - عادةً ما يُنظر اليها على أنها من الكلمة اليونانية نوموس Nomos التي تعنى: الشريعة أو الكتاب الموحَى به؛ وبالتالي فهي ملائمة تمامًا للحديث عن موسى (كما ورد في حديث ورقة) فملاحظة ورقة -إذن- كانت موجَّهة لمحمد ﷺ عند تلقِّيه الوحى، وربما كانت هذه الملاحظة تعنى أنه ما دام محمد قد تلقَّى هذا الوحى فانه مثل موسى وعيسى وأن ما نزل عليه مماثل للتوراة والإنجيل، أو على الأقل: على الدرجة نفسها أو من النوع نفسه. وهذه الفكرة التي ذكرها ورقة قد تشير أيضًا الى أن محمَّدًا لا بد أن يكون مؤسِّسًا أو مشرِّعًا لأمَّة (أو لجماعةٍ أو لمجتمع.Community (واذا كان محمد في مرحلة تردُّد - وهذا ما يبدو معقولًا- فإن هذا التشجيع الذى لاقاه لا بد أن يكون ذا أهمية عظمى في تطوره الداخلي (نموه النفسي)"(٩٦).

رأفت للطباعة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، (٤١٥-٤٦٢).

(٩٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيِّم، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية، بيروت- الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م، (٣/ ١٩).

(٩٤) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وقول الله جلَّ ذكره: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾، مرجع سابق، (١/ ٣)، برقم (٧)، ومسلم في الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، مرجع سابق، (١/ ١٣٩)، برقم (١٦٠).

(٩٥) وليام مونتجمري وات، مستشرق بريطاني عمل أستاذًا للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة إدنبرة في إدنبرة-اسكتلندا، ولد سنة ألف وتسعمائة وتسع، وتوفي سنة ألفين وست.

(٩٦) محمد ﷺ في مكة، المستشرق الإنجليزي ويليام مونتجمري وات، ترجمه إلى العربية: الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ، راجع الكتاب وعلق عليه: الدكتور أحمد الشلبي،

وكذلك النجاشي، فقد جاء عنه بعد سماعه عن الإسلام وما يدعو إليه أنه قال: (يا معشر الحبشة، والقسيسين، والرهبان، واللهِ ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوى هذا، مرحبًا بكم، وبمن جئتم من عندهِ، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل، وإنه الرسول الذي بشَّر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، واللهِ لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحملُ نعليه، وأُوضِّئه)(٩٧).

ومنهم من اعترف بنبوَّته ولكنه لم يُسْلِمْ كما فعل هرقل، ففي حديث أبي سفيان(٩٨) رضي الله عنه مع هرقل -وسيأتي ذكره في مطلب آخر- قال هرقل: هذه صفة النبي، قد كنتُ أعلمُ أنه خارجٌ، ولكنْ لم أظنُّ أنه منكم، وإنْ يَكُ ما قلتَ حقًّا، فيوشك أن يملكَ موضعَ قدميَّ هاتين، ولو أرجو أن أخلصَ إليه لتجشَّمتُ لقاءَهُ، ولو كنتُ عنده لغسلتُ قدميهِ)(٩٩).

وموقف آخر كان مباينًا ومغايرًا للموقف السابق، إذْ عمدَ أصحابُ هذا الموقف إلى تبديل هذه النصوص وتغييرها وتحريفها، فكفروا جملةً، وأنكروا على من يدعوهم إلى ذلك حتى وإن كان من بني قومهم، فمن ذلك ما جاء في الصحيحين عن هرقل بأنه: " أصبح يومًا خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناطور(١٠٠): وكان هرقل حَزَّاءً ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملكَ الختانِ قد ظهر، فمن يُختن من هذه الأمَّة؟ قالوا:

الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، ١٤١٥ هـ، (ص: ١٢٠).

(٩٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، مرجع سابق، (٧/ ٤٠٨)، برقم (٤٤٠٠)، قال ابن كثير: " وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن"، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١٧٤/٤).

(٩٨) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. أسلم عام الفتح. له أخبار في حسن إسلامه مضطربة قد ذكرنا كثيرًا منها في بابه من كتاب الصحابة. فُقئت عينه يوم الطائف فلم يزل أعور حتى فُقئت الأخرى يوم اليرموك فعمي، ومات في خلافة عثمان، واختُلف في السنة التى مات فيها اختلافًا كثيرًا، انظر: الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى، ابن عبد البر، دراسة وتحقيق وتخريج: عبد الله مرحول السوالمة، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، (٣١١/١).

(٩٩) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، مرجع سابق، (٣/ ١٠٧٤)، برقم (٢٧٨٢)، ومسلم في الصحيح، كتاب: الجهاد والسير، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، مرجع سابق، (٣/ ١٣٩٣)، برقم(١٧٧٣).

(١٠٠) أسقف من أساقفة النصارى، انظر: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، الحَمِيدي، المحقق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم – لبنان- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (٣/ ٤٠٤).

ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنَّك شأنهم، واكتبْ إلى مداين ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم، أُتي هرقل برجلٍ أُرسلَ به ملك غسَّان(١٠١) يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلمَّا استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتنٌ هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدَّثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملكُ هذه الأمَّة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحبٍ له برومية(١٠٢)، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص(١٠٣)، فلَمْ يَرُمْ حمصَ حتى أتاه كتابٌ من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ، وأنه نبيٌّ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغُلِّقت، ثم اطَّلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت مُلككم فتبايعوا هذا النبيَّ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غُلِّقت، فلمَّا رأى هرقل نفرتهم، وأَيِسَ من الإيمان، قال: رُدُّوهم عليَّ، وقال: إني قلتُ مقالتي آنفًا أختبر بها شدَّتكم على دينكم، فقد رأيتُ، فسجدوا له

---

(١٠١) تكاد تُجمع المصادر على أن الغساسنة من اليمن، وقد خرجوا منها عندما انفجر السد حوالي القرن الثالث الميلادي، وقد مروا بديار كثيرة، ثم استقروا في الشام، وقبل الروم منهم الانضمام إلى دولتهم، والاستفادة من قوتهم للدفاع عن دولتهم من أطراف الدولة مما يلي العرب، انظر: : المحبر، أبو جعفر البغدادي، رواية: أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: الدكتوره: إيلزه ليختن شتيتر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م، (ص: ٣٧٠-٣٧١)؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن بن علي المسعودي، الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٥م، (٢/٢٣١)؛ تتمة المختصر في أخبار البشر، ابن الوردي، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٨٩ه-١٩٧٠م، (١/٩٩)؛ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقي، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، (٦/٨٧-١٣٣).

(١٠٢) روما أو رُومَة أو رُومِيَّة، هي عاصمة إيطاليا والبلدية والمدينة الكبرى في البلاد والأكثر سكانًا، وقد بناها رومولوس (حوالي ٧٧١ إلى ٧١٧ ق.م.) وروموس (حوالي ٧٧١ إلى ٧٥٣ ق.م.)، وهما أخوان توأم، أمهما الكاهنة ريا سيلفيا والأب مارس إله الحرب، وهذه المدينة غير رومية المنطقة التي تقع جوار المدائن، وقد بناها أنو شروان على تمثال انطاكيا، انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، مرجع سابق، (٢/ ١٠٩- ١١١)؛ مدخل عام إلى تاريخ القانون، عصام طوالبي الثعالبي، دار هومة، الجزائر، ٢٠١٦م، (ص: ١١٨).

(١٠٣) بالكسر ثم السكون، والصاد مهملة: بلد مشهور قديم كبير مسوّر، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تلٍّ عالٍ كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق، يذكر ويؤنث، بناه رجل يقال له: حمص بن المهر بن جان بن مكنف، وقيل: حمص بن مكنف العمليقي، وقال أهل الاشتقاق: حمص الجرح يحمص حموصًا وانحمص ينحمص انحماصًا إذا ذهب ورمه، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (٢/٣٠٢).

ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل"(١٠٤).

فهؤلاء صاروا كفارًا بتبديل معاني الكتاب الأول وأحكامه، وتكذيب الكتاب الثاني، كما يقول علماء المسلمين: إن دينهم مبدَّلٌ منسوخ، وإن كان قليلٌ من النصارى كانوا عند مبعث محمد ﷺ متمسكين بدين المسيح، كما كان الذين لم يبدِّلوا دين المسيح كله على الحق، فهذا كما أن من كان متبعًا شرع التوراة عند مبعث المسيح كان متمسكًا بالحق كسائر من اتبع موسى، فلمَّا بُعث المسيح صار كلُّ من لم يؤمن به كافرًا، وكذلك لما بُعث محمد ﷺ صار كلُّ من لم يؤمن به كافرًا.

ومنهم من بدأ يحرِّف التأويل الذي كان موجودًا للكتاب المقدس قبل بعثة النبي ﷺ كما هو شأنهم، فما جاء في العهد القديم: " أَمَّا الْحَيَوَانُ الرَّابعُ فَتَكُونُ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ عَلَى الأَرْضِ مُخَالِفَةٌ لِسَائِرِ الْمَمَالِكِ، فَتَأْكُلُ الأَرْضَ كُلَّهَا وَتَدُوسُهَا وَتَسْحَقُهَا"(١٠٥)، حيث كان التأويل المعروف عندهم عن الحيوان الرابع متعلقًا بالدولة الرومانية، وظلَّ هذا التأويل معترفًا به عند النصارى حتى ظهر الإسلام، فغيَّروا هذا التأويل وبدَّلوه وحرَّفوه، وقالوا: بل هو الإسلام وليست الدولة الرومانية(١٠٦).

وقد غلَّط النصارى المتأخرون هذا التـأويل الذي كان في القرن التاسع، وبيَّنوا الفضائح العلمية التي وقع فيها المؤوِّل الذي حاول إقناع بني جِلدته بالتأويل الذي توصَّل إليه، وأن طمسه للتأويلات السابقة لم تكن عن هوى، بل عن دراسة وتفحُّصٍ وتقصٍّ واستقراء، ولكن هذه الدراسة عند الفحص أوهى من بيت العنكبوت، وكلها مبنية على مغالطات تأريخية، وضعف في الحساب لا يقع فيها العوامّ(١٠٧).

ويلحظ المتأمل الكهَّان الذين حاولوا تطويع النصوص بتمحُّلٍ غريبٍ وعجيبٍ ومريبٍ لجعل كلِّ نصٍّ فيه تحذير من شيطان أو دجال أو طاغية منصبًّا على نبيِّ الهدى ﷺ، ولو آل بهم إلى تحريف التأريخ، وتغيير الأعمار، كالقول بأن وفاة النبي ﷺ كان في سنة ستمائة وست وستين للميلادية -أي: في خلافة معاوية- ليصحَّ ذلك التأويل(١٠٨) لما جاء في رؤيا يوحنا: "هنا الحكمة، من له فَهمٌ فليحسبْ عددَ الوحش، فإنهُ عددُ إنسانٍ وعددُهُ ستُ مئةٍ وستةٌ وستون"(١٠٩).

إن هذا التطور الغريب في تفسير النصوص الذي لم يكن موجودًا في شروح

---

(١٠٤) سبق تخريجه.

(١٠٥) سفر دانيال (٧ /٢٣).

(١٠٦) إعجاز الوحي والنبوة في سفر دانيال، عبد المسيح بسيط أبو الخير، مطبعة المصريين، (ص:١٧).

(١٠٧) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، مرجع سابق، (ص:٦٠-٦١).

(١٠٨) المرجع السابق (ص: ٦٢).

(١٠٩) سفر رؤيا يوحنا (١٣/١٨).

الكتاب المقدس لم يقم على مستند صحيح أو دليل صريح يشهد لما قالوه، أو ذكروه، بل هي محاولة بائسة أرادوا تدارك شبابهم الذين تركوا هذا الدين الذي لا يقبله العقل ولا النقل على حدِّ قول أحد كهَّانهم في القرن التاسع: " إن المسيحيين يحبُّون قراءة قصائد وروايات العرب، ويدرسون علماء الدين والفلاسفة العرب لا بقصد مجادلتهم وإنما لاكتساب لغة عربية فصيحة ورشيقة. وأين هو الشخص العادي الذي يقرأ دراسات الكتاب المقدس باللاتينية أو يدرس سير الأنبياء والقديسين؟ يا للخسارة! إن جميع الشباب المسيحيين الموهوبين يقرأون الكتب العربية، ويدرسونها بحماس، ويجمعون مكتبات هائلة بتكلفة ضخمة، ويحتقرون الآداب المسيحية باعتبارها غير جديرة بالاهتمام"(١١٠).

فهذه المحاولة البائسة باستخدام تلكم الأساليب تولَّى كبرها وأذكى نارها وأثار غبارها بعضُ القسيسين كبيدا المبجّل المؤرخ البريطاني المتوفى في القرن الثامن ٧٣٥م(١١١)، وكان يصف النبيَّ ﷺ " بأنَّه رجلٌ من الصَّحراء ويشبُهُ جدَّهُ إسماعيل، والذي كانت يَدُهُ ضدَّ كلِّ إنسان، وإنَّ إسماعيل لا يشمله وعدُ الرب، الذي وعد به إبراهيم ومن بعده إسحق ويعقوب. وإنَّ محمَّدًا أُمِّيٌّ، وأنَّ وضعه الاجتماعيّ كان وضيعًا، وكان جاهلًا بالعقيدة المسيحية، ويتعطَّش للسلطة المطلقة، مما ساعده ليصبح حاكمًا فادَّعى النبوَّة"(١١٢).

وهذا الرجل من أوائل مَن أدخلَ المسلمين ونبيَّهم ﷺ في تفسير النصوص الواردة في نصوص العهد القديم(١١٣).

وسيأتي المزيد من الحديث عنهم وموقفهم من المسلمين في مطلب خاص.

ويعترف بعض المفكرين بأن الجهل المطبق بالإسلام وتأريخه جعل هؤلاء يكتبون ويؤوِّلون الكتاب المقدس بأيِّ تأويل لكي يستطيعوا إلصاق التهم بالإسلام، وإن

---

(١١٠) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، مرجع سابق، (ص:٥٩-٦٠).

(١١١) بيدا فينيربيليس واحد من أبرز الكتاب في العصور الوسطى، وُلد في مملكة نورثمبريا، وفي سن السابعة أُعطي من قِبل والديه إلى دير ويرموث، الذي تأسَّس في عام ٦٧٤م ليتربى ويتعلم، وعندما تأسَّس دير شقيق في عام ٦٨١ م على بعد حوالي سبعة أميال في جارو، كان بيدا من بين الرهبان الذين نُقلوا إلى ذلك الموقع الجديد، وبقي حتى وفاته في عام ٧٣٥، وكرَّس حياته بالكامل للامتثال الرهباني ودراسة الكتاب المقدس.

(١١٢) الإسلام والغرب مواجهةٌ أم حوار، محمد علي الفرَّا، دار مجدلاوي للنشر، الأردن، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م، (ص: ٥٥) بتصرف يسير؛ الحرب المقدسة – الجهاد، الحرب الصليبية، العنف والدين في المسيحية والإسلام-، جان فلوري، ترجمة: غسان مايسو، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤م، (ص: ١١٠).

(١١٣) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سوذرن، مرجع سابق، (ص:٥٣).

كان تصديق إمكان الممتنع أقرب من تصديق تلكم التأويلات، ولكن لم يصلوا إلى مرادهم، بل ظلَّ الإسلام يأخذ في التوسع أتباعًا وجغرافيَّةً، وصدق الشاعر:

وَفي تَعَبٍ مَن يحسُدُ الشمسَ نورَها وَيَجْهَدُ أنْ يأتي لهَا بضَرِيبِ(١١٤)

وإنْ تَعْجَبْ فعجبٌ إنكارُهم على اليهود في جحود نبوَّة عيسى عليه الصلاة والسلام، وتغافلهم عن جحودهم لنبوَّة النبي ﷺ، بل وإنكارهم نبوَّة موسى عليه الصلاة والسلام كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾ [البقرة: ١١٣]، فقد جاء في سبب نزول هذه الآية بإسناد حسن(١١٥): بأنه لما قدم قوم من النصارى على رسول الله ﷺ، وأتتهم

---

(١١٤) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، أبو العلاء المعري، المحقق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (ص: ٥٨).

(١١٥) من المعلوم بأن أسباب النزول لها حكم الرفع، فما يقال في الحديث المرفوع من شرط الثبوت لقبوله والأخذ به يقال في أسباب النزول، مثلا بمثل وسواء بسواء، قال العراقي:

وَعَدُّ مَا فَسَّرَهُ الصَّحَابِي رَفْعًا فَمَحْمُولٌ عَلَى الْأَسْبَابِ

فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، السخاوي، المحقق: علي حسين علي، مكتبة السنة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، (١/ ١٥٣)، وقد نص أهل العلم على اشتراط ثبوت أسباب النزول، قال الحافظ ابن حجر في تعقُّبه على خطبة الواحدي ما نصه: "ولما وقفت على هذه الخطبة لخطابها، وسعيت إلى الوصول لألج من أبوابها فوجدته -رحمه الله- قد وقع فيما عاب، من إيراد كثير من ذلك بغير إسناد مع تصريحه بالمنع إلا فيما كان بالرواية والسماع، ثم فيما أورده بالرواية والسماع ما لا يثبت لوهاء بعض رواته ثم ما اقتضاه كلامه أن الممنوع أن يساق الخبر من غير رواية دون سياق برواية أو سماع لا يكون فيه ذلك ليس بمسلَّم طردًا ولا عكسًا، بل المحذور أن يكون الخبر من رواية من لا يوثق به سواء ساق المصنف سنده به أم لم يسقه فكم من سند موصول برواية كذاب أو متروك أو فاحش الغلط"، العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، (١/ ٢٠٠)، وقال السيوطي: "وشرط قبولهما صحة السند"، التحبير في علم التفسير، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فتحي فريد، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ه-١٩٨٢م، (ص:٨٦)، وقال أيضًا: "قد تقرر في علوم الحديث أن سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع، لا يقبل منه إلا الصحيح المتصل الإسناد، لا ضعيف ولا مقطوع"، المقامة السندسية في النسبة المصطفوية، السيوطي، (ص:١٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أحبار من اليهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال بعض اليهود: ما أنتم على شيء؛ وكفر بعيسى ابن مريم وبالإنجيل. فقال رجل من النصارى: ما أنتم على شيء؛ وجحد نبوَّة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله ﷻ في ذلك من قولهما: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾(١١٦) الآية.

وهكذا تم التلاعب بالنصوص التي جاءت في البشارة ببعثة النبي ﷺ، وتطويع النصوص وتأويلها حسب ما يريدون، ورُمي النبي ﷺ وأصحابه بكل مثلبة ومنقصة، لا لشيء، ولكنْ خشيةً على مُلكهم الذي رأوا انهياره، وديانتهم التي تهاوت أمام الحق، وبث الرعب في قلوب الخلق بأن العالم قد اقترب من النهاية لكون المسيح الدجال قد ظهر، وغير هذه الترهات التي أثبتت الأيام كذبها وزيفها، ولكنهم ظلُّوا في غيِّهم يعمهون، وفي ضلالهم يسبحون.

المطلب الثاني: تحريف أدلة الشريعة

المتأمل في عقيدة النصارى لا يكاد يجد حضورًا للتكاليف في ديانتهم، ومع هذه الندرة فقد تعرَّضت النصوص التي دلَّت عليها للتحريف والإعراض عنها وعمَّا تضمَّنته من أحكام، وحلَّت مكانها أفكار مخترعة، وأمور مبتدعة، ومن ذلك:

السجود لغير الله:

الناظر إلى النصرانية في وضعها الحالي يعرف أنها قضايا مخترعة بعيدة عن ديانتهم التي كانت عليها، ومن ذلك: السجود لغير الله، ويشهد لهذا ما ذكره أبو قرَّة في مجلس المأمون(١١٧)، إذ سأله أحدهم: "فها نحن نراكم في صلاتكم تسجدون لبعضكم البعض.

فقال أبو قرَّة: إن سجودنا لبعضنا البعض ليس هو مِنَّا مثل السجود لله الواحد المثلَّثة صفاته. بل مثلما سجد دانيال(١١٨) لبختنصَّر ملك بابل(١١٩)"(١٢٠).

---

(١١٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، (٢/ ٤٣٤- ٤٣٥)؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ، (١/ ٢٠٨).

(١١٧) الخليفة، أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، ولد: سنة سبعين ومائة، قرأ العلم، والأدب، والأخبار، والعقليات، وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، بايع الناس المأمون، في أول سنة ثمان وتسعين ومائة، مات في رجب، في الثاني العشر، سنة ثمان عشرة ومائتين، وله ثمان وأربعون سنة، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، (١٠/٢٧٢-٢٨٩).

(١١٨) دانيال هو أحد الأنبياء الأربعة الكبار في التراث اليهودي المسيحي، والشخصية

وهذا الكلام غير صحيح، بل هو تحريف صريح، ففي العهد القديم: "**فوَقَعَ المَلِكُ نَبوخذنَصَّرُ على وجهِهِ ساجدًا لدانيالَ** وأَمَرَ لَه بتَقدِمَةٍ وذَبيحَةِ رِضًى. وقالَ المَلِكُ لدانيالَ: إلَهُكُم هوَ إلهُ الآلِهَةِ حقًّا وربُّ المُلوكِ، لأنَّكَ قَدِرْتَ أنْ تكشِفَ هذا السِّرَّ. وأكرَمَ المَلِكُ دانيالَ، فوَهَبَهُ هدايا كثيرةً، وسَلَّطَهُ على كُلِّ إقليمِ بابِلَ، وجَعَلَهُ على الدَّوامِ سيِّدَ حُكَّامِها جميعًا"(١٢١).

الختان:

من المتقرِّر في العهد القديم تشريع الخِتَان، ويعترف به مفكرو النصارى، وكذلك جاء في برنابا: "قال يسوع: إنه لما أكل آدم -الإنسان الأول- الطعام الذي نهاه الله عنه في الفردوس مخدوعًا من الشيطان؛ عصى جسده الروح، فأقسم قائلًا: تاللهِ لأقطعنَّك، فكسر شظية من صخر وأمسك جسده ليقطعه بحدِّ الشظية، فوبخَّه الملاك جبريل على ذلك، فأجاب: لقد أقسمتُ بالله أن أقطعه فلا أكون حانثًا، حينئذ أراه الملاك زائدة جسده فقطعها، فكما أن جسد كل إنسان من جسد آدم وجب عليه أن يراعي كل عهد أقسم آدم ليقومنَّ به، وحافظ آدم على فعل ذلك في أولاده، فتسلسلت سُنَّة الختان من جيل إلى جيل، إلا أنه لم يكن في زمن إبراهيم سوى النَّزر القليل من المختونين على الأرض، لأن عبادة الأوثان تكاثرت على الأرض، وعليه: فقد أخبر الله إبراهيم بحقيقة الختان، وأثبت هذا العهد قائلًا: النفس التي لا تختن جسدها إياها أُبدِّد من بين شعبي إلى الأبد، فارتجف التلاميذ خوفًا من كلمات يسوع لأنه تكلَّم باحتدام الروح، ثم قال يسوع: دعوا الخوف للذي لم يقطع غُرلته لأنه محروم من الفردوس"(١٢٢).

وهو أمرٌ تدعو إليه الفِطَر السليمة، والعقول المستقيمة، وكانت الأمم تفعله، ولا تنكر على من يقوم به، حتى جاء بولس فجحده، واستمر تطوير الجحود والتحريف للنصوص على قدمٍ وساقٍ إلى القرن السابع وما بعده، حيث نفاه أبو قرَّة في مجلس المأمون، إذ وجَّه إليه سؤالًا عنه فقال له: يا أبا قرَّة: "ألَا تعلم أن القلفة نجسة؟

قال أبو قرَّة: ألَا تعلم يا أمير المؤمنين أن الله ﷻ خلق أبانا آدم من تراب، ونفخ فيه من نسمة الحياة. قال: نعم.

المركزية في سفر دانيال، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، (٢/ ٣٧٤).

(١١٩) إحدى مُدن العراق، وأكبر عواصم حضارة بلاد الرافِدَين، وقد كانت عاصمة الإمبراطورية البَابِلية، وحصل لها قضايا كثيرة، انظر: كتابة التاريخ عند الأشوريين خلال عصر السلالة السرجونية، سامي سعيد الأحمد، سومر، عدد ٢٥، ج ١، ١٩٦٩، (ص:٤٨).

(١٢٠) أبو قرة والمأمون-المجادلة-، الأب: وفيق نصري، مركز التراث العربي المسيحي-المكتبة البولسية، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م، (ص: ٢٤٤).

(١٢١) سفر دانيال (٢: ٤٦-٤٨).

(١٢٢) إنجيل برنابا (٢/٢٣-١٢).

قال أبو قرَّة: ثم إن الله سبحانه جَبَلَهُ بيمينهِ على صورته ومثاله.

قال: نعم.

فقال أبو قرَّة: فهل يخلق الله شيئًا نجسًا، ويصوِّره على شبهه ومثاله، ويُسكنه جنَّته؟

قال المأمون: معاذ الله أن يخلق الله شيئًا نجسًا.

قال أبو قرَّة: فنحن الآن نشبه أبانا آدم ﷺ.

فضحك المأمون، وأطرق طويلًا ثم قال: يا أبا قرَّة، بارك الله فيك، لقد صدقت.

فكيف أنزل الله الختان على إبراهيم، وما سبب ذلك؟

قال أبو قرَّة: الله ﷻ خلق أبانا آدم أَغْلَفَ، ولم يكن فيه نجسٌ، وكان بين آدم وإبراهيم أربعة وثلاثون جيلًا؛ لأن من آدم إلى نوح عشرين جيلًا، وكانوا جميعًا غُلْفًا.

ولم يأمر بختان قَطُّ إلى زمان إبراهيم؛ لأن الخلق قد عبدوا الأصنام، وسجدوا لها دون الله سبحانه، فلمَّا نشأ إبراهيم واعترف بالله، وآمن بالله، وكفر بالأصنام ورَذَلَها، أراد الله أن يكون هو وقبيلته المعترفون بالباري سبحانه موسومين مثل من يَسِمُ غنمه وخرافه لِيَبِينَ المؤمنون من عبدة الأصنام فوسمَ إبراهيمُ الناسَ كلَّهم إلى مجيء السيد المسيح.

فلمَّا جاء السيد المسيح له المجد، أبطل تلك الشرائع التي كان قد رسمها موسى، وكان قد رسم لبني إسرائيل شرائع ونواميس، فلم يقبلوها وما امتثلوا بها، فجعل السيد المسيح للأمم عهدًا جديدًا، وأبدل الوصيَّة الأولى بوصيَّة جديدة"(١٢٣).

وهذا الكلام يحتاج إلى وقفات عدة:

الوقفة الأولى: القول بأن أول من اختتن هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو ما دلَّت عليه أسفار اليهود، وهذا يعني أن شريعة موسى هي شريعة إبراهيم، فما هو مصدر المنع من الختان ورفضه سوى الاحتجاج بما كان الناس عليه قبل إبراهيم إنْ ثبتَ أنهم كانوا كذلك(١٢٤)، ولم يكونوا كذلك كما ذكرنا، فلماذا اختارت النصارى شريعة دون شريعة، ولماذا لم تقتصر على الشريعة السابقة بما هي عليه؟ وكيف تقول بالنَّسخ في هذه المسألة وهي تُنكره جملةً وتفصيلًا(١٢٥)؟

الوقفة الثانية: أن ما نفاه أبو قرَّة هنا في حديثه عن طهارة القلفة وغير طهارتها هو ما أثبته غيره من النصارى.

---

(١٢٣) أبو قرَّة والمأمون -المجادلة-، الأب: وفيق نصري، مرجع سابق، (ص:١٠١-١٠٦).

(١٢٤) القديس يوستينوس، الدفاع عن المسيحيين، الحوار مع تريفون، تعريب: الأب جورج نصور، جامعة الروح القدس، الكسليك، بيروت، ٢٠٠٧م، (ص:١٤٧).

(١٢٥) انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، تعريب: شركة ماستر ميديا، القاهرة، (ص:١٨٨٤)؛ ميزان الحق، الدكتور فاندر، مركز الشبيبة، الطبعة: الثالثة، (١/٤٦-٤٧)، (١/٦١-٩٤).

الوقفة الثالثة: يذكر النصارى أن بولس لم يكن يهدف من منع الختان وتركه سوى أغراض سياسية، والترخيص لمن يريد الدخول في الأديان السماوية ويجد حرجًا من مسألة الختان، فرأى إلغاء هذه المسألة(١٢٦).

الوقفة الرابعة: القول بإلغاء شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام لشريعة موسى مرفوض بما قدَّمناه في أكثر من موضع، فهل النصارى في مبناهم ومعناهم سوى فرقة من فرق اليهود، يقول أحد مفكريهم عن المسيح: "سوف لا نقول شيئًا جديدًا، إذا أبقينا على أن يسوع كان يهوديًّا في كل النواحي، فالأناجيل قد حفظت أمثاله وأقواله، وتلك ليست الرؤى الوحيدة والآراء الخاصة بيسوع نفسه التي تم حفظها لنا، لكن أيضًا التفاصيل المتعلقة بيهود تلك الأيام...، فكل العهد الجديد يعكس المعتقدات اليهودية المختلفة والرؤى المتعلقة بالفداء الأخير، والإيمان، والمسيانية"(١٢٧).

الوقفة الخامسة: زعم النصارى أن النَّسخ للختان كان باعتياضهم بالمعمودية كما يقول بولس: "وَبِهِ أَيْضًا خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ. مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ"(١٢٨)، فإن كان كذلك، فما المراد بالمعمودية؟ فإن كان تطهير المرء من الذنوب والخطايا فقد عاد القول بنجاسة الإنسان من قريب أو من بعيد.

فلماذا رفضوا شيئًا يوحي عندهم بنجاسة عضو من أعضاء الإنسان، ورضوا شيئًا يدل على نجاسة الإنسان.

فإن قالوا: إن الطهارة طهارتان.

قلنا: ليس هذا عندكم، فلا تدَّعوا شيئًا ليس لكم، ولا تستنزلوا ماءً من سماء غيركم، ولا ترعوا غير ماشيتكم، ولا تحطبوا بحبل غيركم.

ثم ماذا عن الصبيِّ الذي خرج غير مرتكب لأيِّ خطيئة قَطُّ، فما هو المناط في تعميده؟

ثم لماذا عمَّد يحيى بن زكريا عيسى بن مريم، هل للطهارة أم لأيِّ شيء عُمِّد المسيح؟!، ففي مَتَّى: "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ. قَائِلًا: تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ. أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ.. حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ(١٢٩) إِلَى الأُرْدُنِّ(١٣٠) إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ

---

(١٢٦) مفاهيم إنجيلية - اعطوا ما لقيصر لقيصر ومقالات أخرى-، الأنبا إبيفانيوس، مطبعة دير القديس أنبا مقار، الطبعة: الأولى، ٢٠١٧م، (ص:٦٨-٦٩).

(١٢٧) المصادر اليهودية في المسيحية، دافيد فلوسير، ترجمة: أندرو وهيب زكي-موريس وهيب زكي، دار سلام للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ٢٠١٧م، (ص:١١-١٢).

(١٢٨) رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي (١١/٢).

(١٢٩) بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، ولام أخرى، جبل الجليل: في ساحل الشام ممتدّ إلى قرب

مِنْهُ"(١٣١)، فإن كان المسيح محتاجًا إلى غيره، فما هي ألوهيَّته مع حاجته للآخرين، وإن كان المسيح متميزًا ومستحقًّا للعبادة لذلك، فيوحنا أحقُّ بها منه، فمن احتاج له عيسى فهو أكملُ منه ويملك ما لا يملكه المسيح...

ولا أريد الخوض هنا في تحريف النصارى للقرآن، كقول أبي قرَّة في حديثه عن إقرار الولدية والوالدية بين الله ﷻ، حيث قال: " وأنت تعلم أنه قال في سورة البقرة، قال: اتخذ الرحمن ولدًا... وفي موضع آخر: إن الرحمن اتخذ ولدًا فنحن أول العابدين"(١٣٢)، فهذا التحريف الغريب لآيات القرآن الكريم وهو كثيرٌ في كتبهم غير مرادٍ عندي هنا.

المبحث الثالث: تطور النصرانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي من حيث الشرائع

حمص، وكان منزل نوح، ﷺ، في جبل الجليل بالقرب من حمص في قرية تدعى سحر ويقال إن بها فار التَّنُّور، وجبل الجليل بالقرب من دمشق أيضا، يقال إن عيسى ﷺ دعا لهذا الجبل أن لا يعدو سبعه ولا يجدب زرعه، وهو جبل يقبل من الحجاز، فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل، وهو بدمشق لبنان وبحمص، انظر: معجم البلدان، مرجع سابق، (٢/١٥٨-١٥٨).

(١٣٠) الأردن: اسم بلد معروف ومشهور، سُمِّيت بذلك من الشدة والغلبة، وقيل بل الأردنّ في لغة العرب النُّعاس، هكذا يقول اللغويون: إن الأردن النعاس، ويستشهدون ببيت من الشعر، واستظهر ياقوت الغلبة والشدة فقال: إن الأردن الشِّدَّة والغلبة، وأهل السير يقولون: إن الأردن وفلسطين ابنا سام بن إرم بن سام بن نوح، ﷺ، وهي أحد أجناد الشام الخمسة، وقال أحمد بن الطيّب السرخسي الفيلسوف: هما أردنّان، أردنّ الكبير وأردن الصغير، فأما الكبير فهو نهر يصبُّ إلى بحيرة طبرية، بينه وبين طبرية، لمن عبر البحيرة في زورق، اثنا عشر ميلًا، تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر، فتسقي اكثر ضياع جند الأردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور، ثم تنصبُّ تلك المياه إلى البحيرة التي عند طبرية، وطبرية على طرف جبل يشرف على هذه البحيرة، فهذا النهر أعني الأردن الكبير، بينه وبين طبرية البحيرة، وأما الأردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغور، فيسقي ضياع الغور، وأكثر مستغلَّتهم السكر، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الشرق، وعليه قرى كثيرة، منها: بيسان وقراوا وأريحا والعوجاء، وغير ذلك، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (١/١٤٧).

(١٣١) إنجيل متى (٣/١-١٣).

(١٣٢) أبو قرَّة والمأمون -المجادلة-، الأب: وفيق نصري، مركز التراث العربي المسيحي- المكتبة البوليسية، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م، (ص: ١٥٥).

إن الناظر إلى التشريع عند النصارى يجد أن التوراة وأسفار الأنبياء عندهم كتبٌ مقدَّسة يجب الوقوف عليها وعدم تجاوزها إلى غيرها بأيِّ حال من الأحوال، ويطلقون عليها "العهد القديم"، وكانوا في أوائل دعوتهم يسيرون على ضوء ما دعت إليه ونصَّت عليه، بدءًا بعيسى عليه الصلاة والسلام القائل: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ"(١٣٣)، ومن ثم لم يأتِ عيسى بتشريعات تميِّز دعوته عن الشرائع السابقة، بل اقتصر على الوعظ والتسامح وقضايا الأخلاق وغيرها من الأمور، واكتفى باتِّباع شريعة موسى، ويُرجع النصارى هذا الأمر لعدة أسباب:

الأول: أنه أراد تشريعًا روحيًّا محييًا لا حرفًا ميتًا.

الثاني: أنه أراد بفعله ذلك تجنيب شريعته التي قد يأتي بها ما قد يعتري المتبعين لها من تغيرات في الزمان والمكان والأحوال التي تؤثر على صلاحيتها ومدى قبول الناس لها.

الثالث: أنه نأى بنفسه عن إكراه الناس على شريعة قد يقبلون بها وقد يرفضونها فترك النَّاسَ يختارون لنفسهم ما يحبُّون ويشتهون(١٣٤).

وهذه التعليلات غير معقولة ولا مقبولة، فالتشريع السماوي لا يكون حرفًا مميتًا، بل هو بريء من ذلك، وعيسى عليه الصلاة والسلام لم يتجرد عن الشرائع، بل إقراره لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام موجب لأتباعه الامتثال لما أقرَّه من فعل الأوامر واجتناب النواهي.

والقول بأن الشريعة تقيِّد الإنسان وتحول بينه وبين حريته غير صحيح، ولو صحَّ ذلك لما أقرَّ عيسى شريعة موسى عليهما الصلاة والسلام، ولما أتى بشيء مطلقًا، فالقول في البعض كالقول في الكل، سواءً بسواء ومثلًا بمثل، ويشهد لاتِّباعه لمن قبله ما جاء في مَتَّى، فعندما سأله شخص فقال له: "يَا مُعَلِّمُ، أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ"(١٣٥).

فصرَّحوا بمخالفتهم لها متى ما وقفت حائلًا بينهم وبين ما يشتهون، وذلك بالتبديل أو التأويل الذي لا يُتصوَّر، فـ"**الميتة في التوراة** فإنما عَنى بذلك: ألَّا تُميتوا الأحياء... **وأما الدم** فعنى به: ألَّا يقتل أحدٌ بريئًا ويهريق دمه، وعَنَى **بالخنزير**: الزنا

---

(١٣٣) إنجيل متى (٥/ ١٧).

(١٣٤) يسوع المسيح -شخصيته، تعاليمه-، الأب: بولس إلياس اليسوعي، مرجع سابق، (ص:٢٩٠).

(١٣٥) إنجيل متى (٢٢/٣٦-٤٠).

والكفر بالله، إذ المعروف من الخنزير الالتطاخ في المطائق، فنهانا عن فعله، وأما أكله فما فيه منفعة ولا مضرَّة فمن شاء أكله ومن شاء تركه..."(١٣٦)، ومثل هذه التأويلات التي لا يمكن قبولها في تفسير النصوص.

إذا تبيَّن ذلك، فقد طرأ على الأحكام المتعلقة بالشرع عندهم تطورات عدة، ومن ذلك:

❍ المسألة الأولى: النذر:

النَّذْر معروف في الشرائع المتقدمة، وقد جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

قال ابن عاشور: "وفي هذه الآية دليل على أن النذر كان مشروعًا في شريعة إبراهيم، وقد نذر عمرُ في الجاهلية اعتكاف ليلة بالمسجد الحرام، ووفَّى به بعد إسلامه كما في الحديث"(١٣٧)، وحكى الله ﷻ عن مريم قولها: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]، "فكان من بني إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام، إلا مِن ذكر الله"(١٣٨)، وحكى الله تعالى قول امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾[آل عمران: ٣٥]، وكان معروفًا عند العرب كما يقول الشاعر في الجاهلية:

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي، ولم أَشْتِمْهُمَا والنَّاذِرَيْنِ إذا لم أَلْقَهُمَا دَمِي(١٣٩)

والنَّذْر عند النصارى ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نذر الفقر، فعلى الراهب رفضُ الأملاك الخارجية، أو السعي

---

(١٣٦) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، القرطبي، المحقق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي – القاهرة، (ص: ٣٩٧).

(١٣٧) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، (١٧/ ٢٥٠).

والحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن عمر سأل النبي ﷺ قال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام؟ قال: فأوفِ بنذرك»، أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: الاعتكاف، باب: الاعتكاف ليلا، مرجع سابق، (٣/ ٤٨)، برقم(٢٠٣٢).

(١٣٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير، مرجع سابق، (١٥/ ٥١٧).

(١٣٩) شرح المعلقات التسع، أبو عمرو الشيباني، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، (ص: ٢٥٩).

لتأمين سكن للعيش فيه، وغير ذلك من الأمور التي تُنافي الفقر والتقشف، وتدل على ضدِّ ذلك كله(١٤٠).

القسم الثاني: نذر الطاعة، فيطيع الراهبُ الآبَ، ويلتزم توجيهاته، ويقتصر على امتثال أوامره، فلا يخالفها بحال(١٤١).

القسم الثالث: نذر العِفَّة، فيمتنع عن الزواج؛ لأن الانشغال بالزوجة يصرف قلب المرء عن طاعة الله على الوجه الأكمل والأفضل، ومن ثم لا بد أن يترك ويمتنع عمَّا يصرفه عن ذلك(١٤٢)، ويستشهدون بما جاء في رؤيا يوحنا ما نصُّه: "ونَظَرتُ فرَأيتُ حَمَلًا على جَبَلِ صِهيونَ ومعَهُ مِئةٌ وأربَعةٌ وأربعونَ ألفًا ظَهَرَ اَسمُهُ واَسمُ أبـيهِ مَكتوبًا على جِباهِهِم... هَؤُلاءِ هُمُ الذينَ ما تَدَنَّسوا بِالنِّساءِ، فهُمْ أبكارٌ"(١٤٣).

وهذا التقسيم ينبغي للإسكيم أن يفعله عند إلباس الراهب، وذلك بأن يسأله الكاهن أسئلة عديدة فيقول له: "أتلبث ثابتًا في الدير وفي النُّسك حتَّى نسمتك الأخيرة؟

أَتُخلِّص المخلصين الذين جدَّدوا لقاءاتهم المعادة؟

أتحتمل بصبر جميع أحزان السيرة الرهبانية وضيقاتها لأجل ملكوت السماوات؟

أتحفظ ذاتك في البتولية والعفة والورع؟

فيجيب الراهب: "نعم، بمؤازرة الرب أيها الأب المكرَّم"(١٤٤).

وهذه النذور عند النصارى يتصل بها عندهم مسائل فقهية كثيرة، ويندرج تحتها العديد من الفروع، إلا أننا سنقتصر على ذكر ما حصل من تغيرات وتطورات في القرن السابع الى القرن العاشر الميلادي.

والأصل عندهم فيها ما قاله المسيح للشاب الذي سأله الحياة الأبدية فقال له: "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا. قَالَ لَهُ: أَيَّةَ الْوَصَايَا؟

فَقَالَ يَسُوعُ: لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. قَالَ لَهُ الشَّابُّ: هذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟

قَالَ لَهُ يَسُوعُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ،

---

(١٤٠) إميل عقيقي، الحياة الرهبانية -تاريخها، طرقها، قيمها-، الأب: يوسف قزي- دير سيدة النصر، منشورات اليوبيل المئوي الثالث للرهبانية اللبنانية المارونية، ١٩٩٥م، (ص:١٩-٢٠).

(١٤١) قوانين الرهبانية اللبنانية المارونية، ١٩٧٤م، القانون (٤٨).

(١٤٢) الحياة الرهبانية -تاريخها، طرقها، قيمها-، الأب: يوسف قزي-أميل عقيقي، مرجع سابق، (ص:٥١).

(١٤٣) سفر رؤيا يوحنا (١٤/١-٥).

(١٤٤) جرما الترجمان، محمد حسن علوان، دار تشكيل للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٤٢ه، (ص:٦١).

فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي"(١٤٥).

وقوله أيضًا: "وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولًا مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ"(١٤٦).

وقول بولس: "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ(١٤٧).

واشترطوا لهذه النذور شروطًا عدة، من أهمها: الوفاء بالنذر، ويدل عليه ما جاء في العهد القديم: "أَنْ لَا تَنْذُرُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلَا تَفِيَ"(١٤٨)، وفيه أيضًا: "إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ فَلَا تُؤَخِّرْ وَفَاءَهُ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يَطْلُبُهُ مِنْكَ فَتَكُونُ عَلَيْكَ خَطِيَّةٌ"(١٤٩)، وفيه أيضًا: "تُصَلِّي لَهُ فَيَسْتَمِعُ لَكَ، وَنُذُورُكَ تُوفِيهَا"(١٥٠)، وفيه أيضًا: "اِذْبَحْ للهِ حَمْدًا، وَأَوْفِ الْعَلِيَّ نُذُورَكَ"(١٥١).

وكان لهذه النذور أسباب عدة سنتعرَّض لها في الحديث عن الرهبانية، ونستوفي ذلك في موضعه.

لكن هنا بَيَّنَّا أن الناذر يتعيَّن عليه أن ينذر حياته لله، وأن يترك جميع الملاذِّ الجسدية والعاطفية وغيرها، وقد كان بدء هذه النذور تحصل من الأفراد لابتغاء الفرار بالدين، والهروب من مضايقات الرومان، والانقطاع للعبادة، والإعراض عن الملاذ جملةً، والضرب عنها صفحًا(١٥٢).

ولكنها بدأت تتحوَّل وتتطوَّر إلى أن أصبحت في العصور الوسطى من القرن السابع الى القرن العاشر الميلادي مصدرًا للاسترزاق والعيش عالةً على ما يجود به الولاة على الكنائس، وبثِّ الخرافات من النصوص التي تبيِّن فضيلة بذل الأثرياء والأغنياء أموالهم لهؤلاء(١٥٣).

وبعد أن كان الناذر حياته لله منقطعًا عن النساء لا يقترب منهنَّ بحال كما يقول بولس: "وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الأُمُورِ الَّتِي كَتَبْتُمْ لِي عَنْهَا: فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَمَسَّ

---

(١٤٥) إنجيل متى (١٩/١٧-٢١).

(١٤٦) إنجيل متى (١٩/٢٩).

(١٤٧) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (١٢/١).

(١٤٨) سفر الجامعة (٥/ ٥).

(١٤٩) سفر التثنية (٢٣/٢١).

(١٥٠) سفر أيوب (٢٢/٢٧).

(١٥١) سفر المزامير (٥٠ /١٤).

(١٥٢) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ترجمة: القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، (ص:٣٥٥-٣٦٦).

(١٥٣) انظر: أوربا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، (١/١٦٢-١٦٤).

امْرَأَةً"(١٥٤)، وقال: "وَلكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا"(١٥٥)، أصبح الناذر لا يريد بنذره سواء إشباع رغبته من النساء لتحوُّل الكنيسة إلى مكان تجتمع فيه الرجال والنساء، وصار معروفًا للقاصي والداني، وكل من يريد قضاء وطره من النساء فليس عليه سوى التوجه إلى الدير ليجد ما تشتهيه نفسه، ويشهد لذلك قولُ الجاحظ(١٥٦) من: "أن قومًا أرادوا قطع الطريق على مال السُّلطان، فأتتهم المعاينة فأعلمتهم أن السلطان قد نَذَرَ بهم، فساروا ثم عزموا على الاستخفاء في دير العذارى، فصاروا إلى الدير ففُتِح إليهم، فلمَّا استقرَّ حتى سمعوا وقع حوافر الخيل في طلبهم، فلمَّا أمنوا وجاوزتهم الخيل، خلا كلٌّ واحدٍ منهم بجارية، هي عنده عذراء، فإذا القسُّ قد فرغ منهنَّ، فقال بعضهم في ذلك:

وألْوَطُ مِنْ راهبٍ يَدَّعي   بأنَّ النِّساءَ عليه حرامْ
يُحَرِّمُ بيضَاءَ ممكورةً   ويُغْنيهِ في البُضعِ عنها غلامْ
إذا ما مَشَى غضَّ من طَرْفِهِ   وفي الدير بالليلِ منهُ عُرامْ
وديرُ العذارى فضوحٌ لهنَّ   وعندَ اللصوصِ حديثٌ تمامْ(١٥٧)

وإنْ تَعجبْ فعجبٌ فراغه من جميع الراهبات مع كونه أبًا لهنَّ، فلا ينادينه إلا بلفظ: يا أبانا، ومن أجل هذا حرَّموا عليه الزواج بالنساء اللاتي لسنَ عنده في ديره، لأنه يُعتبر أبًا للنساء اللائي ينتحلنَ النصرانية، ونصُّوا على ذلك في مجمعاتهم، وقامت قوانين تخصُّهم، وتؤيد أبوَّتهم على عامة الرجال والنساء(١٥٨).

والأعجب أنهم سمحوا بإنشاء الأديرة الجماعية ليقوم فيها الرجال والنساء بالوفاء بنذورهم الحياتية لله، وكان الباعث على هذه الديارات أن يجمع الراهب بين العبادة وتلبية طبيعته البشرية، فالإنسان لا يقوى على العزلة عن الناس طيلة عمره،

---

(١٥٤) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١/٧).

(١٥٥) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٨/٧).

(١٥٦) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني من أهل البصرة، وكان للجاحظ من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ ما شاع ذكره وعلا قدره، وكان يبيع الخبز والسمك بسيحان، مات سنة خمس وخمسين ومائتين في خلافة المعتز وقد جاوز التسعين، انظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، (٢١٠١/٥).

(١٥٧) الأمالي، يموت بن المزرع، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، (ص:٨٥-٨٦).

(١٥٨) سر الكهنوت وإجابات على أسئلة، الأنبا غريغوريوس أسقف عام للدراسات اللاهوتية، مكتبة الأنبا غريغوريوس، شركة الطباعة المصرية، (ص:١٦٦).

فعمدوا إلى إنشاء هذه الدَّيَّارات لما ذكرنا، ولكن إن كانت مخالطة الإنسان للناس جِبِلَّة لا يستطيع الانفكاك عنها(١٥٩).

فكذلك معاشرة النساء، فكيف سمحوا بتلبية حاجته إلى المخالطة، ومنعوا حاجته إلى النساء، نقيضان لا يلتقيان.

ومن أجل هذا أصبحت الدَّيَّارات مأوى لممارسة الفاحشة صباحًا ومساءً، سواء أكان ممن يدين بديانتهم أم لا، ويشهد لهذا كثرة الأبيات التي قيلت في هذا الباب(١٦٠)، وأصبحت هذه الأديرة مأوى لكل من يهوى الخلاعة، وما يصاحب ذلك من شرب الخمر التي تطفح بها الأديرة، ولولا أننا نُنزِّه هذا البحث عن كثير من الأخبار والألفاظ والأبيات التي تمجُّها الأسماع وترفضها الطباع لذكرتُ ما يجعل المقارنة ساقطة بين الأديرة والمواخير، فما قيل في الأديرة، وما أُلِّف فيها أكثر بكثير مما قيل في المواخير.

فإذا كان ذلك كذلك، فإن سماحهم للراهبات بالاختلاط مع الرهبان في العصور الوسطى بدعوى الوفاء بالنذور كان مجانبًا للصواب، إذْ يستحيل اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد دون أن يميل أحدهم إلى الآخر، فتركوا تعاليم بولس خلف ظهورهم، وهو القائل: "اُهْرُبُوا مِنَ الزِّنَا. كُلُّ خَطِيَّةٍ يَفْعَلُهَا الإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْجَسَدِ، لكِنَّ الَّذِي يَزْنِي يُخْطِئُ إِلَى جَسَدِهِ"(١٦١)، فهل يكون الهرب من الزنا بجمع المنقطعين عن النساء مع النساء المنقطعات عن الرجال في مكان واحد يجتمعون ويخلو بعضهم ببعض في ليل ونهار مدة حياتهم، هذا ما لا يكون أبدًا، بل كما جاء في سفر الأمثال: " أَيَأْخُذُ إِنْسَانٌ نَارًا فِي حِضْنِهِ وَلاَ تَحْتَرِقُ ثِيَابُهُ؟ أَوَ يَمْشِي إِنْسَانٌ عَلَى الْجَمْرِ وَلاَ تَكْتَوِي رِجْلاَهُ؟"(١٦٢).

وأين مراعاة هؤلاء الرهبان والراهبات لقول بولس: "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لاَ تَضِلُّوا: لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ"(١٦٣)، وهل تذكَّروا عقوبة الزنا المقرَّرة في سفر

---

(١٥٩) أوربا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق (١٧٢/١).

(١٦٠) انظر: الديارات، الشابشتي، تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م، (ص: ١٠٩)، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، السري الرفاء، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٧ه-١٩٨٦م، (٣٠١/٤)؛ الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة، الحموي، تحقيق: يحيى زكريا -محمد أديب، إحياء التراث العربي، دمشق،١٩٩٨م، (ص:٣٠٢-٣٠٣).

(١٦١) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٨/٦).

(١٦٢) سفر الأمثال (٢٨/٦).

(١٦٣) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٩/٦).

اللاويين: "وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةِ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ"(١٦٤)، أم أنهم لم يُقْدِموا على النذور إلا ليفعلوا ذلك كما يشهد لذلك كثرة الأخبار المتواترة والمتضافرة والمتكاثرة والمتناثرة التي لا يستريب عاقلٌ في صحتها، ولا ينقضي عجبه من فعل الرهبان والراهبات.

ولعل النصوص التي تحرِّم عليهم الزنا لم تلقَ قبولًا أمام نزوات النفس في مكان قد جُهِّز ليكون مرتعًا خصبًا لمن يريد ذلك، فالراهبات أكثر من أن يدخلنَ تحتَ الحصرِ والعَدِّ في تلك الأديرة، والخمر تُشرب جهارًا نهارًا، فاستبدلوا تلك النصوص التي تمنع عليهم ذلك، باختلاق روايات أخرى تتلاءم مع الجوِّ الذي يعيشونه كما جاء في يوحنا أن: "يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ. ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنًا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسَطِ قَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟

قَالُوا هَذَا لِيُجَرِّبُوهُ لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبِعِهِ عَلَى الأَرْضِ.

وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلَا خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ! ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الأَرْضِ.

وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الآخِرِينَ.

وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسَطِ. فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ قَالَ لَهَا: يَا امْرَأَةُ أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟

فَقَالَتْ: لَا أَحَدَ يَا سَيِّدُ. فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: ولَا أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي"(١٦٥)، وهكذا نصٌّ يطفح بالغرائب والعجائب، وكيف يخالف شريعة موسى في رجم الزانية، وهو لم يأتِ لينقض شريعة موسى أصالةً كما تقدَّم.

وكانوا يعرفون ذلك من خلال حبَل النساء وولادتهنَّ من دون زواج، ولهذا يقول الجاحظ عنهم في هذه الفترة الزمنية: "وتزهيدهم في النكاح، وتركهم لطلب الولد، ومديحهم للجاثليق والمطران والأسقف والرهبان، بترك النكاح وطلب النسل، وتعظيمهم الرؤساء علمت أن بين دينهم وبين الزندقة نسبًا، وأنهم يحنُّون إلى ذلك المذهب، والعجب أن كل جاثليق لا ينكح، ولا يطلب الولد. وكذلك كل مطران، وكل أسقف. وكذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية، والمقيمين في الديارات والبيوت من النسطورية. وكل راهب في الأرض وراهبة، مع كثرة الرهبان والرواهب، ومع تشبُّه أكثر القسيسين بهم في ذلك، ومع ما فيهم من كثرة الغزاة، وما يكون فيهم مما

---

(١٦٤) سفر اللاويين (١٠/٢٠).

(١٦٥) إنجيل يوحنا (١/٨-١١).

يكون في الناس، من المرأة العاقر، والرجل العقيم.

على أن من تزوَّج منهم امرأةً لم يقدر على الاستبدال بها، ولا على أن يتزوَّج أخرى معها، ولا على التسرّي عليها.

وهم مع هذا قد طبَّقوا الأرض، ومَلَأُوا الأفاق، وغلبوا الأمم بالعدد، وبكثرة الولد"(١٦٦)، فمن أين جاء هؤلاء الأولاد مع ترك النكاح؟!

ولما رأوا كثرة الأموال التي تتدفق إلى الكنائس ابتدعوا بدعة زواج رجال الدين، مدَّعين أنه لا يوجد أيُّ نصٍّ يدفعهم لترك هذه الدنيا والرحيل عنها بغير ذرية ترث عنهم ما يخلِّفونه من أموال، شيءٌ غير معقول أو مقبول عندهم، وهكذا ظلُّوا في أخذٍ وردٍّ، ونزاعٍ مع الآخرين حول مسألة زواج رجال الدين حتى عُقدت من أجلها العديد من المجمعات في منتصف القرن الحادي عشر، فاستمرت قرونًا عدة حتى حُسم الرأي فيها(١٦٧).

❍ المسألة الثانية: الختان:

سبق الحديث عن إلغاء بولس لشريعة موسى، والذي يهمنا هنا أن النصارى في القرن السابع وما بعده بدأوا يذكرون أشياء تتعلق بالختان تكذِّب ما جاء في العهد القديم، مع أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يتعبَّد بشريعة موسى، فها هو يختتن في اليوم الثامن كما في لوقا: " وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ"(١٦٨).

وهذا الأمر بعينه في شريعة موسى، ففي العهد القديم: " وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ ابنُ ثمانيةِ أيّامٍ تَختِنونَه مدَى أجيالِكُم. وَلِيدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. يُخْتَنُ خِتَانًا وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. وَأَمَّا الذَّكَرُ الأَغْلَفُ الَّذِي لاَ يُخْتَنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي... فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ ابْنَهُ، وَجَمِيعَ وِلْدَانِ بَيْتِهِ، وَجَمِيعَ الْمُبْتَاعِينَ بِفِضَّتِهِ، كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ، وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ كَمَا كَلَّمَهُ اللهُ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ، وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ ابْنَ ثَلاَثَ عَشَرَةَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ خُتِنَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ. وَكُلُّ رِجَالِ بَيْتِهِ وِلْدَانِ الْبَيْتِ وَالْمُبْتَاعِينَ

---

[١٦٦] رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، عام النشر: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، (٣/ ٣٢١- ٣٢٢).

[١٦٧] محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية، يواقيم رزق مرقص، https://2u.pw/0v25HJ.

[١٦٨] إنجيل لوقا (٢٨/٢).

بِالْفِضَّةِ مِنِ ابْنِ الْغَرِيبِ خُتِنُوا مَعَهُ "(١٦٩).

بل يذهبون إلى عدم الزواج من قوم لا يقومون بعملية الختان، ففي العهد القديم: " فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ: أَلَيْسَ فِي بَنَاتِ إِخْوَتِكَ وَفِي كُلِّ شَعْبِي امْرَأَةٌ حَتَّى أَنَّكَ ذَاهِبٌ لِتَأْخُذَ امْرَأَةً مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الْغُلْفِ؟"(١٧٠)، وفيه أيضًا: " فَقَالُوا لَهُمَا: لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هذَا الأَمْرَ أَنْ نُعْطِيَ أُخْتَنَا لِرَجُل أَغْلَفَ، لأَنَّهُ عَارٌ لَنَا"(١٧١).

ويُمنع غير المختون من دخول الأماكن المقدسة، ففي العهد القديم: " اِسْتَيْقِظِي، اسْتَيْقِظِي! الْبَسِي عِزَّكِ يَا صِهْيَوْنُ! الْبَسِي ثِيَابَ جَمَالِكِ يَا أُورُشَلِيمُ، الْمَدِينَةُ الْمُقَدَّسَةُ، لأَنَّهُ لاَ يَعُودُ يَدْخُلُكِ فِي مَا بَعْدُ أَغْلَفُ وَلاَ نَجِسٌ"(١٧٢).

وكذلك جاء في إنجيل برنابا ما يحرم غير المختتن من الجنة، وإن لم يقبل النصارى به: "دعوا الخوف للذي لم يقطع غُرلته، لأنه محروم من الفردوس"(١٧٣)، ويُذكَر في أعمال الرسل خلاف النصارى مع بولس في مسألة الختان(١٧٤).

ولكنه كان يفرض رأيه على مَن عداه كما فعل في المسائل التي اخترعها وابتدعها، ومن ذلك: أن اليهود يرون الختان في الجسد والروح، ولا يجوز الاقتصار على ختان الروح دون الجسد، بل الختان لكليهما، وقد جاء في العهد القديم: " وَيَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلْبَكَ وَقَلْبَ نَسْلِكَ، لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ
وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ لِتَحْيَا"(١٧٥)، وفيه أيضًا: " فَاخْتِنُوا غُرْلَةَ قُلُوبِكُمْ، وَلاَ تُصَلِّبُوا رِقَابَكُمْ بَعْدُ"(١٧٦).

وفيه أيضًا: "بِإِدْخَالِكُمْ أَبْنَاءَ الْغَرِيبِ الْغُلْفَ الْقُلُوبِ الْغُلْفَ اللَّحْمِ لِيَكُونُوا فِي مَقْدِسِي، فَيُنَجِّسُوا بَيْتِي بِتَقْرِيبِكُمْ خُبْزِي الشَّحْمَ وَالدَّمَ. فَنَقَضُوا عَهْدِي فَوْقَ كُلِّ رَجَاسَاتِكُمْ"(١٧٧).

وفيه أيضًا: " مِصْرَ وَيَهُوذَا وَأَدُومَ وَبَنِي عَمُّونَ وَمُوآبَ، وَكُلَّ مَقْصُوصِي الشَّعْرِ مُسْتَدِيرًا السَّاكِنِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ، لأَنَّ كُلَّ الأُمَمِ غُلْفٌ، وَكُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ غُلْفُ الْقُلُوبِ"(١٧٨).

---

(١٦٩) سفر التكوين (١٥-٩/١٧).

(١٧٠) سفر القضاة (٣/١٤).

(١٧١) سفر التكوين (١٤/٣٤).

(١٧٢) سفر إشعياء (١/ ٥٢).

(١٧٣) إنجيل برنابا (١٧ /٢٣).

(١٧٤) سفر أعمال الرسل (٥/١٥).

(١٧٥) سفر التثنية (٦/٣٠).

(١٧٦) سفر التثنية (١٦/١٠).

(١٧٧) سفر حزقيال (٧/٤٤).

(١٧٨) سفر إرميا (٢٦/٩).

وقول اليهود في القرآن: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ [البقرة: ٨٨]، وفي أعمال الرسل يعاتب اليهود ويذمُّهم على عدم طهارة قلوبهم فيقول: " يَا قُسَاةَ الرِّقَابِ، وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالآذَانِ! أَنْتُمْ دَائِمًا تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذلِكَ أَنْتُمْ!"(١٧٩).

فاقتصر بولس على القول بختان الأرواح والقلوب دون الجسد، فمن ذلك قوله: "فَإِنَّ الْخِتَانَ يَنْفَعُ إِنْ عَمِلْتَ بِالنَّامُوسِ. وَلكِنْ إِنْ كُنْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ، فَقَدْ صَارَ خِتَانُكَ غُرْلَةً!. إِذًا إِنْ كَانَ الأَغْرَلُ يَحْفَظُ أَحْكَامَ النَّامُوسِ، أَفَمَا تُحْسَبُ غُرْلَتُهُ خِتَانًا؟. وَتَكُونُ الْغُرْلَةُ الَّتِي مِنَ الطَّبِيعَةِ، وَهِيَ تُكَمِّلُ النَّامُوسَ، تَدِينُكَ أَنْتَ الَّذِي فِي الْكِتَابِ وَالْخِتَانِ تَتَعَدَّى النَّامُوسَ؟. لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا، وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَانًا. بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ، وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ، الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ. إِذًا مَا هُوَ فَضْلُ الْيَهُودِيِّ، أَوْ مَا هُوَ نَفْعُ الْخِتَانِ؟"(١٨٠).

ثم تطاول الأمر بالنصارى، فأصبحوا في العصور الوسطى ينفون الختان سواء أكان جسديًّا أم روحيًّا كما سبق الحديث عن أبي قرَّة.

ومع أن النصارى شديدو العناية بالقضايا الروحية، ومع هذا ضربوا صفحًا عن ختان الجسد والروح في آنٍ واحد.

---

(١٧٩) سفر أعمال الرسل (٧/٥١).

(١٨٠) رسالة بولس إلى أهل رومية (٢/٢٥-٢٩)، (٣/١).

❍ المسألة الثالثة: الميراث:

توزيع تركة الميت على أسرته أمرٌ تم الحديث عنه في العصور الأولى من تاريخ البشرية، وتتابعت في ذكره وبيانه كافة الأديان السماوية والقوانين الوضعية، إلى أن جاء موسى بدينه، فكان الإرث عنده في شريعته له نظامه الخاص، ومن ذلك: حرمان البنات من الإرث، حتى وقعت في عهده مشكلة بنات صلفحاد الذي توفي والدهنَّ ولم يترك ولدًا ذكرًا، وفي "سفر العدد" أن موسى قال لربه ﷻ: " بحَقٍّ تَكَلَّمَتْ بَنَاتُ صَلُفْحَادَ، فَتُعْطِيهِنَّ مُلْكَ نَصِيبٍ بَيْنَ إِخْوَةِ أَبِيهن، وَتَنْقُلُ نَصِيبَ أَبِيهِنَّ إِلَيْهِنَّ. وكَلِّمْ بَنِي إِسْرائيلَ وقُلْ لَهم: أَيُّ رَجُلٍ ماتَ ولَيسَ لَه ٱبنٌ، فٱنقُلوا ميراثَه إِلى ٱبنَتِه. فإِن لم تَكُنْ لَه بِنْتٌ، فأَعْطوا ميراثَه لإِخوتِه. فإِن لم يَكُنْ لَه إِخوَةٌ، فأَعْطوه لأَعْمامِه. فإِن لم يَكُنْ لأَبيه إِخوَةٌ، فأَعْطوه لأَقرَبِ ذَوي قَرابَتِه في عَشيرَتِه، فيَرِثُه. ولْيَكُنْ ذٰلكَ لِبَني إِسْرائيلَ فَريضَةَ حُكمٍ، كَما أَمَرَ الرَّبُّ موسى"(١٨١).

ويرث الميتَ في التشريع اليهودي ابنُهُ الذكر سواء أكان من نكاح صحيح أو غير صحيح، فإنْ تعدَّد الولد الذكر كان للبكر نصيبُ اثنين(١٨٢)، وقد يكون أفضل من ذلك بكثير(١٨٣).

والأصل كما بَيَّنَّا أن شريعة عيسى تابعة لشريعة موسى، فها هو يقول: " حِينَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَتَلَامِيذَهُ. قَائِلًا: عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ. فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ"(١٨٤).

ولكن في الميراث نجده يُعرض عن بيان مسألة الإرث، ففي لوقا ما نصُّه: "وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ: يَا مُعَلِّمُ، قُلْ لأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الإِرْثَ! وَلكِنَّهُ قَالَ لَهُ: يَا إِنْسَانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟ وَقَالَ لِلْجَمِيْعِ: احْذَرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ. فَمَتَى كَانَ الإِنْسَانُ فِي سِعَةٍ ، لَا تَكُنْ حَيَاتُهُ فِي أَمْوَالِهِ"(١٨٥).

ولعل هذا الإعراض بناء على ما قرَّره في أكثر من موضع بأنه متَّبع لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام، ومقتفٍ أثره، وغير خارج عنها بأيِّ حال من الأحوال.

وعلى هذا سار الناس بعد عيسى عليه الصلاة والسلام(١٨٦)، ولكن في العصور الوسطى بدأوا يتحدثون عن تبديل شريعة موسى بشكل أكبر ممن سبقهم من

---

(١٨١) سفر العدد (٢٧/٧-١١).

(١٨٢) الميراث المقارن، محمد عبد الرحمن الكشكي، دار النذير للطباعة والنشر، بغداد، الطبعة: الثالثة، ١٩٦٩م، (ص:١١).

(١٨٣) شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين، مراد فرج، مطبعة الرغائب، مصر، ١٩١٧م، (ص:١٦٩).

(١٨٤) إنجيل متى (٢٣/ ١-٣).

(١٨٥) إنجيل لوقا (١٢/١٤-١٦).

(١٨٦) انظر: سفر أعمال الرسل (٤/٣٢-٣٥).

النصارى، فهذا أبو قرَّة يقول: " فلمَّا جاء السيد المسيح له المجد، أبطل تلك الشرائع التي كان قد رسمها موسى، وكان قد رسم لبني إسرائيل شرائع ونواميس، فلم يقبلوها وما امتثلوا بها، فجعل السيد المسيح للأمم عهدًا جديدًا، وأبدل الوصية الأولى بوصية جديدة"(١٨٧).

وفي باب الإرث يتوجَّه السؤال إلى القسيسين عنه، فيقال لهم: "إذا مات إنسانٌ وترك أبناءً أو بناتٍ وزوجةً وأُمًّا وأختًا وابنَ عمٍّ، كيف يمكن تقسيم أملاكه بينهم؟" ، فيرفضون الجواب ويتجاهلونه، بدعوى أن المسيح لم يعلِّمهم، فهم يتبعون -بعد ذلك- ما يقتضيه الزمان، أو ما يمليه عليهم الآباء فيقولون: "لا نعتقد أن محمَّدًا علَّمكم في القرآن كلَّ شرائعكم ووصاياكم...، وكذلك الأمر بالنسبة لنا، فبعض الوصايا علَّمنا إياها ربُّنا، وبعضها الآخر تلفَّظ به الروح القدس عبر أفواه عبيد الرسل، وبعضها الثالث عبر المعلِّمين الذين يوجِّهوننا ويُروننا طريق الحياة ودرب النور"(١٨٨).

وهكذا، فالمعلِّمون يتركون الحبل على غاربه في الإرث للناس حينًا، ويتبعون شريعة موسى مَرَّةً، وينظِّمون الإرث تارةً أخرى.

❍ المسألة الرابعة: الفصل بين عيدي الميلاد والغطاس:

سبق الحديث عن التعميد -الغطاس-، والمراد منه تطهير الإنسان من الماضي وغسله، وكان عيد الميلاد معروفًا في الغرب في القرن الرابع الميلادي، وانتقل الاحتفال به إلى الشرق في القرن نفسه، ولكن الاحتفال به كان مع الاحتفال بعيد الغطاس نفسه، ثم ارتأى الإمبراطور في القرن السابع أن يفرِّق بين العيدين، وما هي سوى بضعة أيام حتى ظهرت النصوص التي تؤيد قوله، وأن الحق هو الفصل بين العيدين(١٨٩)، لكونه الموافق للنصوص، وهذا مخالف لما قرَّره الكُتَّاب الغربيون أنفسهم حيث يقولون: "ودارسُ تاريخ الأديان الوثنية والمسيحية لا بد أن يلاحظ أن الأعياد المسيحية قد وُقِّتت بذكاء من قِبل الكنيسة وصار يُحتفل بها في أيام الأعياد الوثنية نفسها...، ثم يذكر المؤلفون الصراع بين الكنيسة والوثنية إلى أن يقولوا: لا بد من الملاحظة أن الشعوب الوثنية أحبطت جهود الكنيسة لانتزاع الطابع الوثني عن بعض الأديان، وجعلت ذلك مستحيلًا مما أدى بالكنيسة نفسها إلى أن تتبنَّى التقاليد والشعائر الوثنية، وتخلع عليها ألقابًا مسيحية"(١٩٠).

---

(١٨٧) أبو قرة والمأمون -المجادلة-، الأب: وفيق نصري، مرجع سابق، (ص: ١٠٦).

(١٨٨) الهاجريون، باتريشيا كرونه- مايكل كوك، ترجمة: نبيل فياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩م، (٣٤-٣٦).

(١٨٩) تاريخ الأقباط، المقريزي، مرجع سابق، (ص:٧٦)؛ ورقة بحثية حول مراحل التطور الليتورجي لزمن التهيئة لعيد الميلاد في الكنيسة القبطية(ص:١).

(١٩٠) الأصول الوثنية للمسيحية، أندريه نايتون -إدغار ويند -كارل غوستاف يونغ، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، (ص:٥١).

تطور الجماعات النصرانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

المتأمل في دين النصرانية يجد أنه دين سماوي منزَّل من عند الله، ولكن ظهر التغير والاختلاف لدخول ثقافات وأفكار مناوئة للديانات السماوية تَتْرَى، ولا يمكن الجمع بينها وبين الديانات السماوية بأيِّ حال من الأحوال، فتفرَّقوا بسبب ذلك شَذَرَ مَذَرَ، فمنهم مَن ظلَّ محافظًا على عقيدته الصحيحة كما قال تعالى:﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ١١٥﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٥].

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (ألَا إن ربي أمرني أن أعلِّمكم ما جهلتم مما علَّمني يومي هذا...، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب)(١٩١).

فأخبر الله سبحانه أن ثمَّت طائفة من اليهود والنصارى هم على خير، وهذا في العصور الوسطى، وكذلك رسوله ﷺ، حيث اقتصر على لفظة: (بقايا)، وهؤلاء سبق الحديثُ عنهم، وهم من صدَّقوا بالدعوة الخاتمة عندما سمعوا بها، فانقادوا إلى ما دعت إليه.

ولكن في المقابل كانت عامة النصارى على آراء فاسدة، وأفكار منحرفة، فبدأت الفِرْقة البولسية التي لم تقل بالتثليث، بل كانت القضية مقتصرة على الابن والآب، وإلا فبولس يعترف بأن عيسى هو بشرٌ من نسلِ بشرٍ، لا يتصف بالألوهية(١٩٢)، ولكنه فتح بابًا للتنازع والتشرذم بما سنذكره الآن في هذه المطالب:

أهم الجماعات النصرانية في القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

"وُلدت المسيحية في بيئة يهودية ووسط فكرى فلسفي متغير لذلك ظهرت عدة طوائف منحرفة"، كما يقول القس أباكير عبد المسيح(١٩٣)، ومن هنا فإن الجماعات النصرانية في القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الفِرَق الكبيرة التي انقسمت بعد مجمع خلقدونية إلى فرقتين:

- **الفرقة الأولى:** تؤمن بطبيعة واحدة للسيد المسيح بعد الاتحاد، وهذه الفِرَق غير خلقدونية أو اليعقوبيين(١٩٤)، فلا تعترف بقرارات مجمع خلقدونية.

---

(١٩١) سبق تخريجه.

(١٩٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (١/٣).

(١٩٣) السابلية -بدعة سابليوس-، القس أباكير عبد المسيح، (ص:٣).

(١٩٤) هذه الفرقة تسير على نحو ما سار عليه غير الخلقدونيين، ويُسمَّون باسم اليعقوبيين

- **الفرقة الثانية:** تؤمن بطبيعتين منفصلتين في السيد المسيح، وهي التي تعترف بقرارات مجمع خلقدونية.

القسم الثاني: فِرَق صغيرة ظهرت في فترة من الفترات وظلَّت أزمنة في العصور الوسطى ثم اندثرت وذهبت، وسنذكر بعضًا منها على سبيل التمثيل:

- **الغنوسية:** وهي فرقة نصرانية تعني: «حب المعرفة»: من كلمة gnosis التي تعنى: معرفة، وهي عبارة عن مدارس وشِيَع عديدة تؤمن بمجموعات عديدة من الآلهة، وكانت أفكارهم سرية، انقرضت في نهاية القرن الثامن للميلاد، ٧٠٠م، ونشأ فكرهم من الخلط بين الفكر الإغريقي والفكر المصري القديم مع التقاليد الكلدانية والبابلية والفارسية، يقولون بإله واحد مطلَق غير مدرَك ولا معروف وأسمى من أن يعرفه مخلوق، وقد انبثق منه عددٌ لا يحصى من الكائنات الإلهية، أو القوات الروحية ذات الأنظمة المختلفة التي أسموها بالأيونات التي توالت في الانبثاق من ذاتها إلى ما لا نهاية، ويقولون: إن المسيح قد اتخذ جسدًا خياليًّا، ومن هنا قالوا بأنه قد صُلب بجسدٍ خياليّ وليس بجسدٍ حقيقيّ، وقد فارق اللاهوت الناسوت عند الصليب، ولم يُصلب المسيحُ نفسه ولكن أُلقي شبهه على آخر، والإنسان عندهم -في حقيقته- من طبيعة الله إلا أن الشرارة الإلهية التي فيه تخضع لنصف الإله بواسطة جسده المادي أسير العالم، ولذلك فهو يتوق إلى التحرُّر من المادة والعودة للإله الحقيقي، فهذا مجمَل عقائد هذه الفرقة(١٩٥).
- **الأبيونية:** هي فرقة من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية تبنَّت أفكارًا توافق الطقوس والعادات اليهودية التي فرضتها شريعة في العهد القديم، بحيث عملوا بالعهد القديم والجديد معًا، فجاءت مبادئهم خليطًا من المسيحية واليهودية، وقد نُسبت إلى زعيمها أبيون(١٩٦).
- **البلاجية:** نشأت هذه الفرقة في القرن الخامس، وكانت عقائدها تدور حول طبيعة الإنسان، والخطيئة والنعمة، فخالفوا غالب النصارى في تلك

نسبة إلى يعقوب البرادعي الذي سخَّر جهوده ووقته للدفاع عن هذه العقيدة، وهو قديس له مكانته في الكنائس الأرثوذكسية المشرقية، وسُمِّي بالبرادعي بسبب لباس الشحاذين المهترئ الذي كان يلبسه للخوف من السلطة التي كانت تحارب هذه الفرقة، وقد ولد في أول القرن السادس وتوفي في آخره، انظر: المثال الرباني في ترجمة وأخبار الإمام الرئيس القديس ماري يعقوب البرادعي الرباني السرياني، الراهب: يوحنا دولباني، المطبعة السريانية.

(١٩٥) سلسلة البدع والهرطقات: الغنوسية، القس: أباكير عبد المسيح، (ص:٣-٥).

(١٩٦) سلسلة البدع والهرطقات: الأبيونية، القس: أباكير عبد المسيح، (ص:٣).

الفترة، وظلُّوا على ما هم عليه قرونًا عديدة حتى اندثروا بعد ذلك[١٩٧].

القسم الثالث: فِرَقٌ نشأت وتبنَّت أفكارًا جديدة بعد القرن السابع وسواءٌ أكان لها أصلٌ أم لا -وهو ما سنعرفه في المطلب الثالث-.

وجوه نقد القضايا النصرانية المطوَّرة في القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

١) ظهر التغير والاختلاف لدى الجماعات النصرانية بسبب مجموعة من الثقافات والأفكار المناوئة للديانات السماوية، ولا يمكن الجمع بينها وبين الديانات السماوية بأيِّ حال من الأحوال، فتفرَّقوا بسبب ذلك أيدي سبأ.

٢) كانت عامة النصارى على آراء فاسدة، وأفكار منحرفة، فبدأت الفِرْقة البولسية التي لم تقل بالتثليث، بل كانت القضية مقتصرة على الابن والآب، وإلا فبولس يعترف بأن عيسى هو بشرٌ من نسلِ بشرٍ، لا يتصف بالألوهية، ولكنه فتح بابًا للتنازع والتشرذم.

٣) جعل النصارى مصدر دينهم آراء الرجال وأفكارهم التي تضادُّ الوحي وتُنافيه ولا تتفق معه، ومن هنا ظهر التعصُّب من قِبل الأتباع، وأورثهم ذلك التكفير والتفسيق الذي أجَّج نار الخلاف بين الجماعات النصرانية.

٤) لم تكن أسباب زعماء هذه الجماعات واحدة في أفكارهم التي تبنَّوها، بل كلٌّ له سببٌ وداعٍ في نِحْلته التي ابتدعها.

٥) ابتدع النصارى قضية المجامع التي لعبت دورًا عظيمًا في توطيد الخلاف بين الجماعات النصرانية، لعدم قيامها بما أُنشئت من أجله، فالشيء الذي يعتمد على الفكر والنظر والتأمل عندما يُحاد عنه إلى الديكتاتورية في فرض الآراء والاعتياض بها عن الحُجَّة والإقناع المبني على البراهين والأدلة؛ يجعل النتائج عكسية، وهذا الأمر هو ما حصل بعينه في نتائج هذه المجامع.

٦) الخلاف الكبير في شخص المسيح يدل دلالة واضحة على أنهم حادوا عن الطريق الصحيح فيه عليه الصلاة والسلام.

٧) ظهور أكبر الجماعات النصرانية المنطوية تحت فرقتين رئيستين -هما الأرثوذكسية، والكاثوليكية- لم يجعل النصارى محصورين في أفكار هاتين الفرقتين، بل ظلَّ ظهور الفرق قائمًا على قدمٍ وساقٍ.

٨) ظهر التطوير للفرق النصرانية بسبب حضور مقتضى ذلك التطوير كما هو الشأن في فرقة النسطورية.

٩) أحدثت النسطورية اضطراباً وسط النصرانية، ومن أهم ما تحدثت عنه هذه الفرقة هو انفصال طبيعة اللاهوت عن الناسوت، فنفت ألوهية المسيح ومنعت تسمية مريم بوالدة الإله.

١٠) يرى النسطوريون أن للمسيح جوهرين، لكن يرى نسطور الحكيم أن

---

[١٩٧] سلسلة البدع والهرطقات: البلاجية، القس: أباكير عبد المسيح، (ص:٣-٦).

الجوهر الناسوتي يمكن أن يختفي لحظة من اللحظات ويبقى الجوهر اللاهوتي في صورته التدريجية، فكان هو من جاء بفكرة الجوهرين، إذ لم يأت بها أحد قبله.

١١) أظهر نسطور الحكيم إنسانية المسيح وأصرَّ عليها وكرَّرها في مواقف شتى شغلت صفحات عديدة من المؤلَّفات التي حكت آراءهم وتناولت أفكارهم، واعتبرها البعض بمثابة إعلان حرب، يشنُّها النساطرة على الكنيسة الأرثوذكسية التي تبنَّى أفرادها تأليه المسيح تأليهًا كاملًا.

١٢) الطائفة المارونية نشأت في الزمان الذي وقع فيه الجدال في الكنيسة حول المشيئتين في السيد المسيح؛ وإنما انفصل الموارنة عن سائر الطوائف النصرانية لتمسُّكهم بعقيدة المشيئة الواحدة في المسيح ورفضهم تحديد المجمع السادس مع قولهم مع الملكية بالطبيعتين في المسيح، واحتفظوا بملامح عقيدتهم الخاصة المميزة فهي قبل كل شيء مستقلة استقلالًا محليًّا.

١٣) تعدد المذاهب أدى إلى تعدد الكنائس، مما أدى إلى تشعب أهواء النصارى واختلفت عقائدهم.

١٤) ما أنشأ المسيح عليه الصلاة والسلام كنيسة، ومن ثم فإن ذلك الاختلاف الذي ظهر في الكنيسة كان سببه بدعيَّتها وعدم وجود ما يدل عليها.

١٥) أن الأسرار السبعة للكنيسة تطوَّرت بشكلٍ جعل منها شيئًا قريبًا من ابتداعها، ويزعم النصارى أن للأسرار الكنسية أهميتها وفاعليتها للممارسين لها، ويرتِّبون لكل سر أهمية خاصة به وفعلًا ناتجًا عنه.

١٦) الأسرار السبعة، قضايا مستوحاة من الوثنية كما يقول أندريه نايتون: "ونحن لا نبالغ إذا قلنا: إن ما يُعرف بالأسرار الدينية في المسيحية مستوحى من الأديان الوثنية القديمة"، فلم يكن للمسيحيين في الأصل معابد، أو مذابح أو أضاحيّ أو كهنة أو أيُّ شيء من الأبَّهة التي كانت للوثنيين ولليهود؛ والتي كانت تبهر العوامَّ، فرأى الأساقفة ضرورة إدخال بعض الشعائر الخارجية التي تبهر حواسَّ الناس فاتخذوا من الشعائر الوثنية ومن الشعائر اليهودية ما يصلح لأن يندمج في العبادة المسيحية.

١٧) الاختلاف والشقاق بين النصارى قائم لا حد له، مما أدى إلى انشقاق الكنائس وتفرقها، ومن ذلك الخلاف بين الكنيسة القسطنطينية والكنيسة الرومانية، حيث كانت الأولى تعتقد أن روح القدس من الأب وحده لا من الأب والابن، بينما الرومانية تعتقد أن روح القدس من الأب والابن معاً، ولقد تبع الاختلافَ في هاتين المسألتين الرئيسيتين خلافٌ في مسائل أخرى أوجدها تتابعُ السنين واستمرار الشقاق، فقد كثرت أوجه الاختلاف في مسائل فرعية.

١٨) ومن أسباب انشقاق الكنائس واختلاف رؤسائها الأسباب السياسية التي أدَّت إلى الانشقاق، وضاعفت الصراع الذي حدث بين الكنيسة والعلماء وحرص الباباوات على السلطة والرياسة ودعم ذلك بالسيطرة المالية، والتنازع على الكراسي

البابوية، والصراع بين الكنيسة والدولة.

١٩) المجامع عند النصارى نوعان: مجامع مسكونيَّة، ومجامع مكانيَّة أو إقليميَّة، ومنهم من يقسِّم المجامع إلى ثلاثة أقسام: مجامع عامَّة، ويقال لها مسكونيَّة، ومجامع مِلِّيَّة، أي: خاصة بطائفة دون غيرها، ومجامع إقليميَّة، أي: خاصة بإقليم مخصوص.

٢٠) انتشار هذه المجامع أدت إلى إعطاء النصارى الحق لأنفسهم في إصدار الأحكام على المبتدعين والمخالفين لقوانين الكنيسة، بل وزعموا العصمة لقرارات هذه المجامع.

٢١) أدت هذه المجامع إلى الانشقاق فقد كان عدد المجامع في القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي ثلاثة مجامع وهي: المجمع الأول: (مجمع نيقية).المجمع الثاني: (مجمع القسطنطينية)، المجمع الثالث (مجمع أفسس).

سبب انقسام النصارى

سبق الحديث عن الانشقاق في هذه الديانة منذ لحظة رفع المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، وهذا الانشقاق كانت له أسباب عدة، يمكن ذكر بعضها:

❍ **السبب الأول: الهرطقة:-** يجعل النصارى الهرطقة سببًا رئيسيًّا في الانشقاق على مرِّ العصور، ويعتبرونها تفريق ما جمعه المسيح في شخصه، "فالإبيونيون لم يروا في المسيح إلا نبيًّا عظيمًا، خَصَّه الله بشرطٍ وافرٍ من الحكمة، والمشبِّهون لم يروا فيه إنسانًا؛ والآريوسيون جعلوه مخلوقًا وسطًا بين الله والإنسان، والنساطرة قالوا إنه وُلِدَ إنسانًا ثم حلَّ فيه روحُ الله، وبالتالي فالعذراء أم يسوع لا والدة الإله؛ والمونوفيسيون قالوا بطبيعة واحدة إلهية لا بطبيعتين إلهية وبشرية؛ والمونوتيليون قالوا بمشيئة واحدة إلهية لا بمشيئتين إلهية وبشرية؛ ولم تكن حرب الأيقونات نزاعًا سطحيًّا حول طقس معيَّنٍ من طقوس الكنيسة، وإنما كانت بحثًا في سر التجسُّد نفسه؛ فمَن حاربَ الأيقونات أَنْكَرَ حرمةَ شكلِ الإله المنظور. وهَدَّدَ سِرَّ التجسُّد بالانهيار، وإنكار الأسرار المقدسة عند الإنجيليين، ولا سِيَّما سر الاستحالة، هو في حدِّ ذاته خروجٌ على اتحاد الإله الكامل بالإنسان الكامل، ففي المسيح يحلُّ كلُّ ملء اللاهوت جسديًّا وفيه نحن نمتلئ"(١٩٨).

وهذا كلام خصم عن خصومه، فهو يراهم مهرطقين، وهم يرونه كذلك، فأيٌّ منهما يُقبل قوله في مدى الموافقة للدين النصراني أو المفارقة له.

❍ **السبب الثاني: الاعتراف ببعض المجامع دون بعضها:** تقدَّم الحديث عن المجامع ودورها في تأجيج النزاع وتصعيد الخلاف بين الفرق النصرانية، وبيانها بأن النصرانية ليست دينًا له معالم واضحة ولا رأي واحد تجاه الشخصية الذي يزعمون اتِّباعهم له، فشكَّلت شخصية المسيح وطبيعته إشكالية كبيرة عند النصارى، فعقدوا

---

(١٩٨) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسد رستم، مرجع سابق، (٩/١).

لذلك أكثر من مجمع، لعن فيه بعضهم بعضًا، وكفَّر فيه بعضهم بعضًا، حتى جاء مجمع خلقيدونية، فأحدث بينهم الانشقاق الأول الذي تلاه العديد من الانشقاقات(١٩٩).

❍ **السبب الثالث: سعي الكنيسة الغربية إلى التقليل من شأن الكنيسة الشرقية ورجالاتها**، ومن ذلك: التوعُّد بالعقاب على من لا يقول "بأن بولس الرسول لم يمارس قَطُّ عمله الرسولي بحرية أو استقلالية. ويعني ذلك أنَّ بولس منذ لحظة اعتناقه المسيحية إلى حين وفاته كان يخضع لسلطة بطرس الرسول الدائمة باعتباره رأسًا وحيدًا للكنيسة والأوَّل بين البابوات والقادة، ويؤكد المرسوم أيضًا أن سلطة بطرس المطلقة توارثها حصريًّا بابوات روما وأساقفتها الذين تعاقبوا عبر الخلافة المباشرة.

وهكذا نُظِّمت حملة مناهضة حقيقيَّة في الغرب ترمي إلى تشويه التعاليم الأرثوذكسية المتعلِّقة بأوَّليَّة الشرف التي كانت للرسول بطرس. والهدف من ذلك كان مزدوجًا:

الأوَّل: يسعى إلى وضع أساس لاهوتي للقيصريَّة البابويَّة.

الثاني: فهو التقليل من أهمية مكانة البطاركة الشرقيين بالمقابلة مع مكانة باباوات روما"(٢٠٠).

وهكذا استرسلوا في التحقير والحطِّ من شأن الكنيسة الشرقية، ومن ذلك قولهم: "إننا نعترف ونؤمن لكنيسة واحدة مقدسة جامعة ورسولية ليس لمن خرج عنها خلاص. ونعترف أيضًا بأنها واحدة، أعني: جسمًا واحدًا ذا رأس واحد لا اثنين كفلتاتِ الطبيعة، فرأسها هو يسوع المسيح وحده، والقديس بطرس نائبه والبابا خليفة القديس بُطرس ووريثة، فإذا كان الروم أو غيرهم يقولون بأنهم غير خاضعين لخليفته يعترفوا بذلك أنهم ليسوا خراف المسيح لأنه هو قال: رعيَّة واحدة، وراعٍ واحد"(٢٠١).

ويؤكد أحد الأرثوذكس هذا المعنى فيقول: "إنه لمنَ المؤسف أن تكون المنافسات بين الإمبراطوريتين: رومة وبيزنطية، وتتويج البربري شارلمان في العام ٨٠٠م إمبراطورًا على يد البابا لاون الثالث، وتجاوزات الصليبيين وتطاولهم على الكنائس الشرقية ورجالها ومقدساتها، وإحلال رئاسات دينية لاتينية محلَّ الرئاسات المحلية الشرعية في الشرق، واحتلال اللاتين للقسطنطينية فيما بعد، والقضاء بذلك على الإمبراطورية البيزنطية.

من المؤسف أن تكون هذه الأحداث المتتابعة وغيرها قد عمَّقت الشُّقَّة بين

---

(١٩٩) كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك، الشماس الإكليريكي، سامي حلمي، مرجع سابق، (ص:١٩/).

(٢٠٠) اهتدائي إلى الأرثوذكسية، نازينزوس بول دي بالستر، مرجع سابق، (ص:٢٠-٢١).

(٢٠١) تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر، اللاذقي، الأرشمندريتي جراسيموس مسرَّة، الطبعة: الأولى، (ص:٤٠-٤١).

الكنيسة الرومانية والكنيسة البيزنطية، كما كانت بيزنطة قد عمَّقت بتجاوزاتها الخطيرة الشُّقَّة بينها وبين كنائس الشرق القديمة، وكان الحرمان المتبادل بين رومة والقسطنطينية يعني أكثر من انفصال مؤقت بين شطري الكنيسة الواحدة، إذ دفعت كلٌّ منهما بشقيقتها إلى خارج الكنيسة"(٢٠٢).

❍ **السبب الرابع: ظهور المصطلحات الجديدة التي تخالف ما تواضعت عليه الكنيسة: -**

بعد أن ظهر القانون المتعلق بالكنيسة والوظائف التي يتولَّاها من يمارسون العمل فيها، كان هناك مصطلح "البابا"، وكان يُطلق على كل أسقف؛ ولكن مع بدايات القرن السابع الميلادي أصبح المصطلح يُستخدم في الكنيسة الغربية للدلالة على أسقف روما خاصة؛ والذي يعتبره الكاثوليك خليفة القديس بطرس الأول، وهو معصوم ومنزَّه عن الخطأ(٢٠٣).

وليس هذا فحسب، بل أضفوا عليه من الألقاب ما جعل الموقف يتأجَّج أعظمَ مما كان عليه، فلم يُقيموا وزنًا للكنيسة الشرقية، وأهملوا دور الأرثوذكس، واعتبروهم غير موجودين، وأن القول هو للكنيسة الغربية فقط، يصرِّح بهذا الاستغراب من هذا الموقف أحدُ الأرثوذكس فيقول: "وفقًا للمفهوم الكاثوليكي ليست الكنيسة إلا ملكية مطلقة، وحاكمها المطلق هو البابا الذي يقوم بدوره انطلاقًا من هذا المفهوم على ملكية أسقف روما هذه ترتكز قوَّة الكنيسة واستقرارها كلها، وإلا لما كان باستطاعتها أن توجد، كذلك ترتكز المسيحية ذاتها بالكامل على هذه القاعدة البابوية، وأيضًا أكثر من هذا تُعتبر البابوية العنصر الأكثر أَهمية في المسيحية، وخلاصتها وجوهرها.

سلطة البابا الملكيّة - باعتباره رأس الكنيسة وقائدها الأعلى وحَجَر زاويتها والمعلِّم المعصوم عن الخطأ في الإيمان وممثِّل الله على الأرض، وراعي الرعاة ورئيس الكهنة الأعلى، تُعتبر مُلْزِمة بشكلٍ مطلق، ويمكن ممارستها في أيِّ وقت وتمتدُّ إلى المسكونة كلها.

تبسط هذه السلطة -عبر الحق الإلهي- على كل مسيحي معمَّد في العالم أجمع، ويمكن تطبيق هذه السلطة الديكتاتوريّة بصورة مباشرة وفي أيِّ لحظة على أيِّ مسيحيٍّ سواء أكان علمانيًّا أم إكليريكيًّا، أسقفًا أم رئيسَ أساقفة أم كاردينالًا أم بطريركًا. كما يمكن تطبيقها على أيِّ كنيسة مهما كان شكل خدمتها أو لغتها؛ لأنَّ البابا هو الأسقف الأعلى في كل أسقفيَّة في العالم أجمع.

---

(٢٠٢) ألسنا كلنا منشقين، المطران: إلياس الزغبي، مرجع سابق، (ص:٣٢).

(٢٠٣) الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر، نيفين ظافر حسيب الكردي، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين، ٢٠١١م، (ص:٤).

أولئك الذين يرفضون الاعتراف بسلطة البابا أو الذين لا يخضعون له بصورة عمياء، يَعتبرون المنشقين هراطقة وكفرة ومدنِّسين للمقدسات. وتاليًا قُدِّر لنفوسهم أن تُرمى في الظُّلمة الخارجية؛ لأنَّ الشرط الأساس لخلاص نفوسهم هو الإيمان بالعقيدة البابوية التي هي من عند الله والخضوع للبابا كممثِّل لها"(٢٠٤).

وهكذا تعددت الأسباب وتنوعت في وجود ظلِّ التحذير من ذلك، قال يوحنا الذهبي: "إن الذي يشقُّ كنيسة الله يعمل عملًا أفظع من إنكار الإيمان. لأن الذي ينكر الإيمان يُهلك نفسًا واحدة، وأما الذي يشقُّ الكنيسة فإنه يُهلك نفوسًا كثيرة"(٢٠٥)، وقال: "لا شيء يستطيع أن يشقَّ الكنيسة مثل حبِّ الرئاسة، ولا شيء يُغضب الله اكثر من انشقاق الكنيسة. وسبب ذلك حبُّ الرئاسة"(٢٠٦)، ويضيف رستم: "وعلى كل مؤمن أن يراقب هؤلاء الذين يُحدثون الشكوك والشقاق وأن يُعرض عنهم؛ لأنهم على حدِّ قول بولس الرسول: لا يخدمون المسيح بل بطونهم"(٢٠٧).

ولكن الخلاف والتنازع هو الأصل عند هؤلاء القوم، قال الدكتور ألفرد. ج. بتلر: "إن ذينك القرنين كانا عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين، نضال يذكيه اختلاف في الجنس واختلاف في الدين، وكان اختلاف الدين أشدَّ من اختلاف الجنس، إذ كانت علة العلل في ذلك الوقت تلك العداوة بين الملكانية والمنوفيسية، وكانت الطائفة الأولى -كما يدلُّ اسمها- حزب مذهب الدولة الإمبراطورية وحزب الملك والبلاد، وكانت تعتقد العقيدة السنية الموروثة، وهي ازدواج طبيعة المسيح، على حين أن الطائفة الأخرى وهي حزب القبط المنوفيسيين -أهل مصر- كانت تستبشع تلك العقيدة وتستفظعها، وتحاربها حربًا عنيفة في حماسة هوجاء يصعب علينا أن نتصوَّرها أو نعرف كنهها في قوم يعقلون، بل يؤمنون بالإنجيل"(٢٠٨)، وقال القس حنا جرجس -بعد حديثه عن عقيدة آريوس-: "إن آريوس لم يكن الأول، ولن يكون الأخير الذي يهاجم عقيدة لاهوت الابن، فحتى بعد موته سيقوم آريوس كثيرون ينهجون منهجه، ويسلكون في نفس الطريق الذي سلك فيه، وينادون بتعاليمه، بل ينادون بتعاليم أخرى أكثر ضلالًا، ويهاجمون التعاليم الصحيحة، وهكذا لا نقول: إن الكنيسة تنقسم من جديد، بل نقول: إنها تستمر في انقسامها إلى أحزاب وجماعات، وينهش بعضها بعضًا"(٢٠٩).

---

(٢٠٤) اهتدائي إلى الأرثوذكسية، نازينزوس بول دي بالستر، مرجع سابق، (ص:٢٠-٢١).

(٢٠٥) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسد رستم، مرجع سابق، (١/١٠).

(٢٠٦) مقدمة تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر، اللاذقي، الأرشمندريتي جراسيموس مسرَّة، مرجع سابق، (ص:٨).

(٢٠٧) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسد رستم، مرجع سابق، (١/١٠).

(٢٠٨) فتح العرب لمصر، ألفرد. ج. بتلر، مرجع سابق، (ص:٧١).

(٢٠٩) تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضري، مرجع سابق، (١/٦٤٠).

الصراع بين الإسلام والنصرانية

بدأت دعوة النبي ﷺ للنصارى بعد صلح الحديبية كما أسلفنا، ومنذ ذلك الحين والاحتكاك مع المسلمين من قِبل النصارى كان ظاهرًا، سواء أكان فكريًّا أم عسكريًّا، فالصراع الفكري كثير، ومن أمثلته: ما ذكره ابنُ هشام في وفد نصارى نجران حيث قال: "قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران، ستون راكبًا، فيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم، وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يَؤُول أمرهم: العاقب، أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح والسيد لهم، ثمالهم وصاحب رَحْلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل، أسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم.

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم، ودرس كتبهم، حتى حَسُنَ عِلْمُهُ في دينهم، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرَّفوه وموَّلوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمِهِ واجتهادِهِ في دينهم.

فلمَّا رجعوا إلى رسول الله ﷺ من نجران، جلس أبو حارثة على بغلةٍ له مواجِهًا لرسولِ الله ﷺ وإلى جنبه أخٌ له، يقال له: كوز بن علقمة -ويقال: كرز-، فعثرت بغلة أبي حارثة، فقال كوز: تَعِسَ الأبعدُ: يريد رسول الله ﷺ: فقال له أبو حارثة: بل أنتَ تَعِسَتَ! فقال: ولم يا أخي؟ قال: واللهِ إنه لَلنبيُّ الذي كنا ننتظر، فقال له كوز: ما يمنعك منه وأنتَ تعلم بذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرَّفونا وموَّلونا وأكرمونا، وقد أَبَوْا إلا خِلَافَهُ، فلو فعلتُ نزعوا مِنَّا كلَّ ما ترى. فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة، حتى أسلم بعد ذلك. فهو كان يحدِّث عنه هذا الحديث.

ولما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلَّى العصر، عليهم ثيابُ الحبرات، جُبَبٌ وأرديةٌ، في جمال رجال بني الحارث بن كعب.

يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذ: ما رأينا وفدًا مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلُّون: فقال رسول الله ﷺ دَعُوهم. فصلَّوا إلى المشرق.

فكلَّم رسولَ الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقبُ عبد المسيح، والأيهم السيد، وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختلافٍ من أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو والد الله. ويقولون: هو ثالث ثلاثة، وكذلك قول النصرانية فهم يحتجُّون في قولهم: "هو الله" بأنه كان يُحيي الموتى، ويُبرئ الأسقام، ويُخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا، وذلك كلُّه بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾.

فلمَّا كلَّمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ: "أَسْلِمَا". قالا: قد أسلمنا. قال: "إنكما لم تُسْلِمَا فأَسْلِمَا". قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك. قال: "كذبتما، يمنعكما من الإسلام

دعاؤُكما لله ولدًا، وعبادتُكما الصليب، وأكلُكما الخنزير". قالا: فمَن أبوه يا محمد؟ فصمتَ عنهما رسولُ الله ﷺ فلم يجبهما.

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كله، صدر سورة آل عمران، إلى بضع وثمانين آيةً منها، قال جلَّ وعزَّ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ١-٢] فافتتح السورة بتنزيه نفسه عمَّا قالوا، وتوحيده إيَّاه بالخلق والأمر، لا شريك له فيه، ردًّا عليهم ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجًا بقولهم عليهم في صاحبهم، ليُعرفِّهم -بذلك- ضلالتهم: فقال: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ليس معه غيره شريك"(٢١٠).

فهذا الاحتكاك لم يكن الأوحد، بل تلته العديد من الاحتكاكات مع المسلمين، والمسلمون يبيّنون لهم الصوابَ والحقَّ بالتي هي أحسن كما أمر الله ﷻ فقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران: ٦٤-٦٦]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا﴾ [آل عمران: ٩٨-١٠٠] .

الخاتمة

وهنا يأتي الجواب عن سؤال الإشكالية في هذه الرسالة

ما أبرز التطورات التي مرت بها النصرانية و أثرت فيها و في النصارى وما أبرز النتائج التي تمخضت عن مراحلها خلال خمسة قرون من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

يمكن أن نلخصها في الآتي:

١. أن الدِّين ثابت، وأن التجديد لا يطاله، وإنما نسميه تجديداً، بالنسبة للأمة، لا بالنسبة للدين الذي شرعه الله وأكمله، فإن التغير والضعف والانحراف إنما يطرأ مرة

---

(٢١٠) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، (١٥٩/٢-١٦٠).

بعد مرة على الأمة، أما الإسلام نفسه فمحفوظ بحفظ كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ المبينة له.

٢. أن أركان العقيدة النصرانية المتمثلة في عقيدة الفدا، والصلب والقيامة، بعد تطورها توجت بالقول بعقيدة التثليث والتجسد الذي حملت لواءه الفرق الثلاثة التاريخية الكنسية وهي: فرقة الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية، وأعطت هذه الفرق صوراً للتجسد الأقنوني ومدعمة لمبررات الاعتقاد في التجسد والتثليث بغرض الإقناع والمجادلة، فحاولت هذه الفرق بشتى الطرق تقريب القول بالتثليث وتألية المسيح وروح القدس، غير أنّ الأدلة النقلية والعقلية نفت ذلك.

٣. أن النصرانية المتطورة خلال تلك القرون التي أخذتها بالدراسة إلى يومنا هذا هي نصرانية وليس الذي اختلق فيها كل التراكمات الموجودة حالياً ولا تمد بصلة إلى رسالة التوحيد الذي جاء بها المسيح عيسى عليه السلام.

٤. الأثر الكبير للمجامع في تلك الحقبة وما قبلها كما رأينا في اللمحة على القرون الخمسة الأولى للميلاد في تحويل النصرانية وتطورها من مجمع إلى الذي يليه.

التوصيات:

١. إكمال مشروع البحث في النصرانية والنصارى عبر القرون الميلادية كلها.

٢. كتابة رسائل أكاديمية دقيقة فيما يتعلق بالتطورات الدينية التي طرأت على النصرانية كدين و النصارى كحاملين له.

٣. كتابة رسائل عن التجديد الديني الذي مر بالنصرانية والنصارى عبر القرون الميلادية وأثره الواضح في انحرافها.

٤. إقامة مؤتمرات وندوات على مستوى علماء ومفكري العالم الإسلامي عن التحولات المجاميعية و الكنسية التي أثرت في تحول النصرانية وظهورها بالوجه الذي نراه اليوم.

فهرس المصادر والمراجع

١) **الألباني، محمد ناصر الدين.** (٢٠٠٠). *صحيح الترغيب والترهيب*. ط١. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٢) **ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات.** (١٩٧٩). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. بيروت: المكتبة العلمية.

٣) **ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم.** *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*. تحقيق: نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة.

٤) **ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم.** (٢٠١٩). *تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل*. تحقيق: علي العمران ومحمد عزير شمس. ط٣. الرياض: دار عطاءات العلم.

٥) **ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم.** (٢٠٠٤). مجموع *الفتاوى*. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٦) **ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم.** *الصارم المسلول على شاتم الرسول*. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. السعودية: الحرس الوطني.

٧) **ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم.** *الرد على المنطقيين*. بيروت: دار المعرفة.

٨) **ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم.** (١٩٨٠). *مقدمة في أصول التفسير*. بيروت: دار مكتبة الحياة.

٩) **ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج.** (٢٠٠١). *زاد المسير في علم التفسير*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي.

١٠) **ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي.** (١٩٧٢). *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*. ط٢. الهند: دائرة المعارف العثمانية.

١١) **ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد.** *الفصل في الملل والأهواء والنحل*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٢) **ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد.** (٢٠١٦). *بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب*. تحقيق: المهدي عيد الرواضية. ط١. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

١٣) **ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم.** (٢٠٠٢). *الشعر والشعراء*. القاهرة: دار الحديث.

١٤) **ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم.** (١٩٩٢). *المعارف*. تحقيق: ثروت عكاشة. ط٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٥) **ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر.** (١٩٩٦). *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى*. تحقيق: محمد أحمد الحاج. ط١. جدة: دار القلم.

١٦) **ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر.** (٢٠٠١). *مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة*. اختصار: ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم. ط١. دار الحديث.

١٧) **ابن كثير، إسماعيل بن عمر.** (١٩٩٧). *البداية والنهاية*. تحقيق: عبد الله التركي. ط١. دار هجر للطباعة والنشر.

١٨) **ابن كثير، إسماعيل بن عمر.** (١٩٩٩). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي سلامة. ط٢. دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٩) **ابن كثير، إسماعيل بن عمر.** (١٩٦٨). *قصص الأنبياء*. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. ط١. القاهرة: مطبعة دار التأليف.

٢٠) **ابن كثير، إسماعيل بن عمر.** (١٩٩٣). *طبقات الشافعيين*. تحقيق: أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم. مكتبة الثقافة الدينية.

٢١) **ابن ماجه، محمد بن يزيد.** *سنن ابن ماجه*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية.

٢٢) **ابن منظور، محمد بن مكرم.** (١٩٩٤). *لسان العرب*. تحقيق: اليازجي وجماعة. ط٣. بيروت: دار صادر.

٢٣) **ابن هشام، عبد الملك.** *السيرة النبوية*. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٢٤) **الأزهري، محمد بن أحمد.** (٢٠٠١). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٥) **الأرو، عبد الرزاق.** (٢٠٠٧). *مصادر النصرانية دراسة ونقدا*. ط١. الرياض: دار التوحيد.

٢٦) **أبو زهرة، محمد.** (١٩٦١). *محاضرات في النصرانية*. ط٣. القاهرة: دار الفكر العربي.

٢٧) **أبو زهرة، محمد.** *محاضرات في مقارنات الأديان*. مصر: مطبعة يوسف.

٢٨) **أبو شادي، أحمد زكي.** *ثورة الإسلام*. ط١. بيروت: دار مكتبة الحياة.

٢٩) **إيبش، أحمد (مترجم).** *تطور الإنجيل المسيح ابن الله أم ملك من نسل داوود* (لمؤلفه: اينول بأول). دار قتيبة.

٣٠) **إيليربي، هيلين.** (٢٠١٤). *الجانب المظلم في التأريخ المسيحي*. ترجمة: سهيل زكار. دار قتيبة للطباعة والنشر.

٣١) **باركلي، وليم.** (١٩٩٣). *تفسير العهد الجديد*. ترجمة: فايز فارس وآخرون. ط١. القاهرة: دار الثقافة المسيحية.

٣٢) **باشراش، برنارد ستانلي.** (٢٠١٣). حملات *شارلمان المبكرة، تحليل دبلوماسي وعسكري*. دار بريل للنشر.

٣٣) **بسيط أبو الخير، عبد المسيح.** *إنجيل برنابا هل هو إنجيل صحيح*.

٣٤) **البخاري، محمد بن إسماعيل.** (٢٠٠١). *صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير الناصر. ط١. دار طوق النجاة.

٣٥) **بباوي، جورج.** *هل تؤمن المسيحية بإله واحد*. موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

٣٦) **البيروتي، محمد.** *العقائد الوثنية في الديانة النصرانية*. تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي. دار الصحوة للنشر.

٣٧) **بتلر، ألفرد ج.** (١٩٩٦). *فتح العرب لمصر*. ترجمة: محمد فريد. ط٢. القاهرة: مكتبة مدبولي.

٣٨) **بوكاي، موريس.** (٢٠٠٤). *القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم*. ط٢. القاهرة: مكتبة مدبولي.

٣٩) **التفتازاني، سعد الدين مسعود.** (١٩٥٧). *التلويح على التوضيح لمتن التنقيح*. مصر: مطبعة محمد علي صبيح.

٤٠) **الترمذي، محمد بن عيسى.** (١٩٧٥). *سنن الترمذي*. تحقيق: أحمد شاكر وآخرون. ط٢. مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

٤١) **الثعلبي، أحمد بن محمد.** (٢٠١٥). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. ط١. جدة: دار التفسير.

٤٢) **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد.** (١٩٩٣). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. تحقيق: عمر التدمري. ط٢. بيروت: دار الكتاب العربي.

٤٣) **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد.** (١٩٩٨). *تذكرة الحفاظ*. وضع حواشيه: زكريا عميرات. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٤) **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد.** (١٩٨٥). *سير أعلام النبلاء*. بإشراف: شعيب الأرناؤوط. ط٣. مؤسسة الرسالة.

٤٥) **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد.** (١٩٦٣). *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*. تحقيق: علي البجاوي. ط١. بيروت: دار المعرفة.

٤٦) **ديورانت، ول وايريل.** *قصص الحضارة*. ترجمة: زكي نجيب محمود. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.

٤٧) **راغب الأصفهاني، أبو القاسم.** (١٩٩٢). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان الداودي. ط١. دمشق: دار القلم.

٤٨) **الرازي، فخر الدين.** (١٩٩٧). *المحصول*. ط٣. مؤسسة الرسالة.

٤٩) **رستم، أسد.** *كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى*. بيروت: منشورات النور.

٥٠) **رستم، سعد.** (٢٠٠٥). *الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم*. ط٢. سوريا: الأوائل للنشر والتوزيع.

٥١) **الزيات، عبد الفتاح حسين.** (٢٠٠٣). *ماذا تعرف عن المسيحية*. ط٣. مركز الراية للنشر والاعلام.

٥٢) **زيدان، يوسف (مترجم).** (٢٠١٤). *رواية عزازيل*. ط٢٨. القاهرة: دار الشروق.

٥٣) **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر.** (٢٠٠٠). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. ط١. مؤسسة الرسالة.

٥٤) **السيوطي، جلال الدين.** *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. صيدا: المكتبة العصرية.

٥٥) **السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي.** *فتاوى السبكي*. دار المعارف.

٥٦) **شلبي شتوي، محمد.** (١٩٨٤). *الإنجيل دراسة وتحليل*. ط١. الكويت: مكتبة الفلاح.

٥٧) **شنودة، زكي.** *المجتمع اليهودي*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

٥٨) **شنودة الثالث (البابا).** (١٩٧٥). *مرقص الرسول*. ط٢.

٥٩) **الشاطبي، إبراهيم بن موسى.** (١٩٩٧). *الموافقات*. تحقيق: مشهور آل سلمان. ط١. دار ابن عفان.

٦٠) **صالح، أيمن علي.** (٢٠١٠). *القرائن والنص: دراسة في المنهج الأصولي في فقه النص*. ط١. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٦١) **الصفدي، صلاح الدين خليل.** (١٩٩٨). *أعيان العصر وأعوان النصر*. تحقيق: علي أبو زيد. ط١. بيروت: دار الفكر المعاصر.

٦٢) **صبري، جوزيف وآخرون.** *دائرة المعارف الكتابية*. القاهرة: دار الثقافة.

٦٣) **الطيار، مساعد بن سليمان.** *الإعجاز العلمي إلى أين؟*. ط٢. دار ابن الجوزي.

٦٤) **الطبري، علي بن ربن.** (٢٠٠٥). *الرد على أصناف النصارى*. تحقيق: عادل محمد عبده. ط١. مكتبة النافذة.

٦٥) **الظاهري، ابن حزم.** (انظر ابن حزم).

٦٦) **عاشور، سعيد عبد الفتاح.** (٢٠٠٩). *أوربا في العصور الوسطى*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٦٧) **العفاني، سيد حسين.** (٢٠٠٤). *أعلام وأقزام في ميزان الإسلام*. ط١. جدة: دار ماجد عسيري.

٦٨) **عمارة، محمد.** (١٩٩٩). *تيارات الفكر الإسلامي*. ط٢. دار الشروق.

٦٩) **عطية، عزيز سوريال.** (٢٠٠٥). *تاريخ المسيحية الشرقية*. ترجمة: إسحاق عبيد. ط١. المجلس الأعلى للثقافة.

٧٠) **عبد الوهاب، أحمد.** (١٩٨٠). *طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون*. ط١. مكتبة وهبة.

٧١) **عبد الوهاب، أحمد.** (١٩٨٨). *المسيح في مصادر العقائد المسيحية*. ط٢. مكتبة وهبة.

٧٢) **العناني، جاسر علي.** (٢٠٠٧). *القدس في الكتب السماوية الثلاثة*. الجامعة الأردنية: المجلة الثقافية.

٧٣) **العلائي، صلاح الدين أبو سعيد.** (١٩٨٥). *بُغْيَةِ الْمُلْتَمِس فِي سُبَاعِيَّاتِ حَدِيثِ الإِمَامِ مَالِك*. تحقيق: حمدي السلفي. ط١. بيروت: عالم الكتب.

٧٤) **الفراهيدي، الخليل بن أحمد.** *العين*. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

٧٥) **الفيومي، محمد إبراهيم.** (١٩٩٤). *تاريخ الفكر الديني الجاهلي*. ط١. مصر: دار الفكر العربي.

٧٦) **الفناري، شمس الدين محمد.** (٢٠٠٦). *فصول البدائع في أصول الشرائع*. تحقيق: محمد حسين إسماعيل. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٧٧) **الفغالي، بولس.** (٢٠٠٣). *المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم*. ط١. بيروت: المكتبة البوليسية.

٧٨) **القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس.** (١٩٩٥). *نفائس الأصول في شرح المحصول*. تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض. ط١. مكتبة نزار مصطفى الباز.

٧٩) **القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد.** (١٩٦٤). *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: البردوني وأطفيش. ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية.

٨٠) **القلقشندي، أحمد بن علي.** *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨١) **كويتر المخلصي، الياس.** (١٩٨٥). *انجيلك نور لحياتي*. بيروت: المطبعة البولسية.

٨٢) **الكيرانوي، محمد رحمت الله.** (١٩٨٩). *إظهار الحق*. تحقيق: محمد خليل ملكاوي. ط١. السعودية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية.

٨٣) **الكتاني، عبد الحي.** *التراتيب الإدارية*. تحقيق: عبد الله الخالدي. ط٢. بيروت: دار الأرقم.

٨٤) **لوبون، غوستاف.** *حياة الحقائق*. ترجمة: عادل زعتير. مؤسسة هنداوي.

٨٥) **لوريمر، جون.** (٢٠١٣). *تاريخ الكنيسة-عصر الآباء*. ط١. القاهرة: دار الثقافة.

٨٦) **المزي، جمال الدين يوسف.** (١٩٨٠). *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*. تحقيق: بشار عواد معروف. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٨٧) **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي.** *تاريخ الأقباط*. تحقيق: عبد المجيد دياب. دار الفضيلة.

٨٨) **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي.** (١٩٩٧). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨٩) **المناوي، عبد الرؤوف.** (١٩٣٧). *فيض القدير شرح الجامع الصغير*. ط١. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

٩٠) **مسلم بن الحجاج.** صحيح *مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٩١) **المسيري، عبد الوهاب.** (١٩٩٩). *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*. ط١. دار الشروق.

٩٢) **مقار، إلياس.** *إيماني-قضايا المسيحية الكبرى*. ط١. دار الثقافة.

٩٣) **مقار، إلياس.** (١٩٩٢). *رجال الكتاب المقدس*. ط٢. القاهرة: دار الثقافة.

٩٤) **متى المسكين (الأب).** (١٩٩٦). *الإنجيل بحسب القديس مرقس*. ط١. وادي النطرون: مطبعة دير أنبا مقار.

٩٥) **المقدسي، عبد الغني.** (٢٠١٦). *الكمال في أسماء الرجال*. تحقيق: شادي آل نعمان. ط١. الكويت: شركة غراس.

٩٦) **المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله.** (١٩٨٤). *مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*. ط٣. الهند: الجامعة السلفية.

٩٧) **النووي، يحيى بن شرف.** *تهذيب الأسماء واللغات*. بيروت: دار الكتب العلمية.

٩٨) **النووي، يحيى بن شرف.** (١٩٧٢). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٩٩) **النسائي، أحمد بن شعيب.** (٢٠٠١). *السنن الكبرى*. تحقيق: حسن شلبي. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٠٠) **نمر، عبد المنعم.** (١٩٩٤). *السنة والتشريع*. ط١. دار الكتاب العربي.

١٠١) **نوفل، نوفل أفندي.** (١٩٢٢). *سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان*. بيروت: المطبعة الأمريكية.

١٠٢) **الناصر، محمد حامد.** (٢٠٠١). *العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب*. ط٢. مكتبة الكوثر.

١٠٣) **هارب، مايكل.** *الخالدون مائة اعظمهم محمد*. ترجمة: أنيس منصور. المكتب المصري الحديث.

١٠٤) **هاشم، أحمد عمر.** (١٩٨٨). *الإسلام والمسيحية في الميزان*. ط١. مؤسسة الوفاء.

١٠٥) **هيل، جوناثان.** (٢٠١٢). *تاريخ الفكر المسيحي*. ترجمة: سليم إسكندر. ط١. القاهرة: مكتبة دار الكلمه.

١٠٦) **اليعقوبي، ابن حجر.** (انظر ابن حجر العسقلاني).

١٠٧) **يوسابيوس القيصري.** *حياة قسطنطين العظيم*. تعريب: مرقس داود. القاهرة: مكتبة المحبة.

١٠٨) **اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.** *فتاوى اللجنة الدائمة*. الرياض.

١٠٩) **مجمع الكنائس الشرقية.** (١٩٨١). *قاموس الكتاب المقدس*. ط٦. بيروت: مكتبة المشغل.

١١٠) **الرهبانية اليسوعية.** (١٩٩٤). *الكتاب المقدس التوارة والإنجيل*. ط٣. بيروت: دار المشرق.